

❦ الأستاذ الدكتور / نجم الدين علي مردان ❦

الشهادات والخبرات:



١. دكتوراه في برامج رياض الأطفال المعاصرة / جامعة ويلز - المملكة المتحدة.
٢. دبلوم عالي (معادل للدكتوراه) في تربية مدارس الحضانة في إنكلترا، جامعة لندن / المملكة المتحدة.
٣. ماجستير في تربية رياض الأطفال في الجمهورية العراقية / كلية التربية / جامعة بغداد.
٤. أستاذ في سيكولوجية التعليم والتعلم في مرحلة الطفولة المبكرة (رياض الأطفال) - جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم رياض الأطفال.
٥. رئيس قسم رياض الأطفال - كلية التربية للبنات / جامعة بغداد (سابقاً).
٦. مسؤول الدراسات العليا في جامعة السابع من أبريل - كلية التربية / ليبيا.
٧. مدير جامعة آل لوتاه العالمية بالاتصالات الحديثة - الإنترنت / دبي (حالياً).
٨. المستشار التربوي للمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم / دبي (حالياً).
٩. مستشار الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد - عمان / المملكة الأردنية الهاشمية (حالياً).
١٠. مستشار المجلس الوطني الإلكتروني لتنمية مهارات التفكير بالمملكة العربية السعودية .
١١. خبير المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (بيت الخبرة) - الرباط / المملكة المغربية (حالياً).
١٢. خبير تربوي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس (حالياً).
١٣. أستاذ أكاديمي للأكاديمية الدولية للمعلوماتية في روسيا الاتحادية، بالاتفاق مع منظمة هيئة الأمم المتحدة (حالياً).
١٤. خبير في اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم - أبو ظبي / الإمارات العربية المتحدة / وزارة التربية والتعليم.

المؤلفات والمطبوعات:

١. رياض الأطفال في الجمهورية العراقية: تطورها ومشكلاتها وأسسها التربوية والنفسية، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٢، (رسالة ماجستير مطبوعة بمساعدة جامعة بغداد).
٢. تقويم تجربة وحدة وسائل النقل في المرحلة الابتدائية في بغداد، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٢، (بالمشاركة مع الأستاذ الدكتور أحمد أبو العباس).
٣. موضوعات القراءة التي يميل طلبة المدارس الإعدادية (الثانوية) في مدينة بغداد إلى قراءتها، مطبعة اشبيلية، بغداد، ١٩٨١، (بالمشاركة مع الأستاذ سليم الخميسي).
٤. دليل المعلمة لتطبيق وحدة الخبرة، مطبعة الغرير للطباعة والنشر، دبي، ١٩٨٨، (بالمشاركة مع الدكتور بلال الجبوسي، والأستاذ أحمد أبو بكر)، وزارة التربية والتعليم والشباب، الإمارات العربية المتحدة، دبي.
٥. منهج الخبرات في رياض الأطفال، وزارة التربية والتعليم والشباب، مطبعة دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، ١٩٨٨.
٦. الاستمارة (البطاقة) التقويمية لطفل الروضة، مطبعة دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، ١٩٨٢.
٧. موضوع القراءة والكتابة في رياض الأطفال، وزارة التربية والتعليم والشباب، الإدارة العامة للمناهج، مطبعة دار صحف الوحدة، أبو ظبي، ١٩٨٥-١٩٨٦.
٨. محاضرات في البحث التربوي، وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة للتخطيط التربوي، قسم البحوث التربوية، مطبعة كاظم، دبي - الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٤، (بالمشاركة مع الأستاذ الدكتور إبراهيم بسيوني عميرة).
٩. تكوين المفاهيم والتعلم في مرحلة الطفولة المبكرة للمؤلف دين ر. سبتزر، ترجمة الدكتور نجم الدين علي مردان، والأستاذ شاكِر نصيف العبيدي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٤، دبي.
١٠. النمو اللغوي وتطويره في مرحلة الطفولة المبكرة (البيت - الحضانة - رياض الأطفال)، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٥.
١١. التنمية اللغوية للطفل في السنوات المبكرة (الحضانة ورياض الأطفال)، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠، (بالمشاركة مع الأستاذ الدكتور فاضل الساقى).
١٢. تاريخ رياض الأطفال وتطورها في الفكر التربوي، مطبعة التعليم العالي بالموصل، ١٩٩٠، (بالمشاركة مع الأستاذة سلمى المختار).

١٣. سيكولوجية اللعب في مرحلة الطفولة المبكرة: مرحلة الحضانة ورياض الأطفال، مطبعة جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩١.
١٤. دليل منهج وحدة الخبرة المتكاملة لرياض الأطفال، مطبعة وزارة التربية / بغداد، ١٩٩٣، (بالمشاركة مع آخرين).
١٥. تربية رياض الأطفال المعاصرة وتطورها في الجماهيرية الليبية، مطبوعات جامعة السابع من أبريل، الزاوية - ليبيا، ١٩٩٧، (بالمشاركة مع الأستاذ الدكتور المبروك عثمان أحمد).
١٦. البحث التربوي والنفسي: أهميته وأنواعه وخطوات تصميم خطته، مطبعة المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم، دبي، ٢٠٠١.
١٧. الطفولة في الإسلام: حاجاتها النفسية والاجتماعية والتربوية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٢.
١٨. المرجع التربوي لبرامج رياض الأطفال، من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠٤، (بالمشاركة مع الأستاذة الدكتورة نادية محمود شريف، والأستاذة الدكتورة سميرة السيد عبد العال - القاهرة).
١٩. تأثير الإعلانات التلفزيونية على الأطفال في كل من بغداد وعمّان، اتحاد إذاعات الدول العربية، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد - جمهورية العراق، ١٩٩١، (بالمشاركة مع الأستاذ الدكتور هادي نعمان الهيتي، جامعة بغداد / كلية الآداب، قسم الإعلام).
٢٠. الأسس التربوية والنفسية لمعلم الفصل، مطبعة المعهد التقني، المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم، دبي، ٢٠٠٢.
٢١. تربية الطفولة المبكرة في الفكر التربوي العالمي: قديماً وحديثاً، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٦.
٢٢. صناعة لعب الأطفال: في الأسرة والحضانة ورياض الأطفال، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٦.
٢٣. بطاقة تقييم طفل الروضة، مطبوعات مدرسة البصائر الخاصة، الشارقة، ٢٠٠٦.
٢٤. دعنا نستعد للكتابة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٦. (تحت الطبع)
٢٥. هيا نكتب، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٦. (تحت الطبع)
٢٦. السمات السلوكية للإنسان في قصة يوسف عليه السلام: دراسة نفسية في السلوك الإنساني، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٧. (تحت الطبع)

٢٧. يوم القيامة في النفحات القرآنية والسنة النبوية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٧. (تحت الطبع)

٢٨. المعجزات الربانية بيّنات حكيمة للأنبيا وتحديات عظيمة للعباد، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٧. (تحت الطبع)

٢٩. ملامح المدرسة الربانية وآداب التلمذة القرآنية في سورة الكهف، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دبي، ٢٠٠٨. (تحت الطبع)

30. Childhood in Islam: Psychology, Social and Educational Needs, Translated By Shaker Nasif AL-Ubaydi and Reviewed By Prof. Dr. Nejmedin Ali Mardan, Falah, Dubai, 2006.

للتواصل مع المؤلف:

✓ جامعة آل لوتاه العالمية بالاتصالات الحديثة / الإنترنت

✓ الإمارات العربية المتحدة - دبي / ص.ب ١٩٩٦٤

✓ البريد الإلكتروني: dr_najem@yahoo.com

✓ الهاتف المحمول: ٦٢٥٥١٩١ ٥٠ ٩٧١ +

✓ هاتف المكتب: ٢٦٤٦٩٢٧ ٤ ٩٧١ +

✓ فاكس المكتب: ٢٦٤٢٥٠٨ ٤ ٩٧١ +



سعادة الدكتور / حسن بن أحمد العمري ... الموقر

رئيس المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير (مشكاة الهدى)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد .. فإنها حقاً مبادرة رائدة في تأسيس المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير، فبارك الله في جهودكم وسدد على طريق التميز خطاكم. وبهذه المناسبة نشكر دعوتكم الكريمة للمشاركة معكم في العمل التربوي والنفسى والعلمى في مشروع رقى مجتمعنا الإسلامى الأصيل، لأجل رفعة سمعتنا الريادية في استثمار الفكر الإنسانى المبدع، وإنى لجد سعيد فى العمل معكم، وفى مشاركتكم بهذا النشاط المهم والحيوى.

كما أتوجه لمقامكم الكريم بالشكر الجزيل على منحكم لى لقب مستشار فى مجلسكم الوطنى الموقر، وإنى لعلنى العهد فى المشاركة معكم، ومتابعة موقعكم الإكترونى، وتقديم الرؤى والأفكار والمقترحات فى تجويد وتحقيق أهدافنا النبيلة فى العمل الخدمى والخير والرفاهية لأمتنا العربية .. بالفكر الحصىف، والرأى الصائب، والعلم النافع، والعمل المخلص. ومشاركة منى أقدم لكم إنتاجى الأخير، وهو عبارة عن كتابى الموسوم:

"ملاصح المدرسة الربانية وأداب التلمذة القرآنية فى سورة الكهف"

واعترازاً بمجلسكم أرفق لكم مع رسالتى هذه الكتاب كاملاً بالبريد الإكترونى، بغية تقييمه ومحاولة نشره باسم المجلس الوطنى لتنمية مهارات التفكير .. وشكراً. وفقكم الله تعالى .. ودمتم بعز

أ د نجم الدين على سردان

دبى - ٢٠٠٨/١/١٣

المستشار التربوى للمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم

مدير جامعة آل لوتاه العالمية - الإنترنت

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحم المدرسة الربانية وآداب التلمذة القرآنية في سورة الكهف

الأستاذ الدكتور

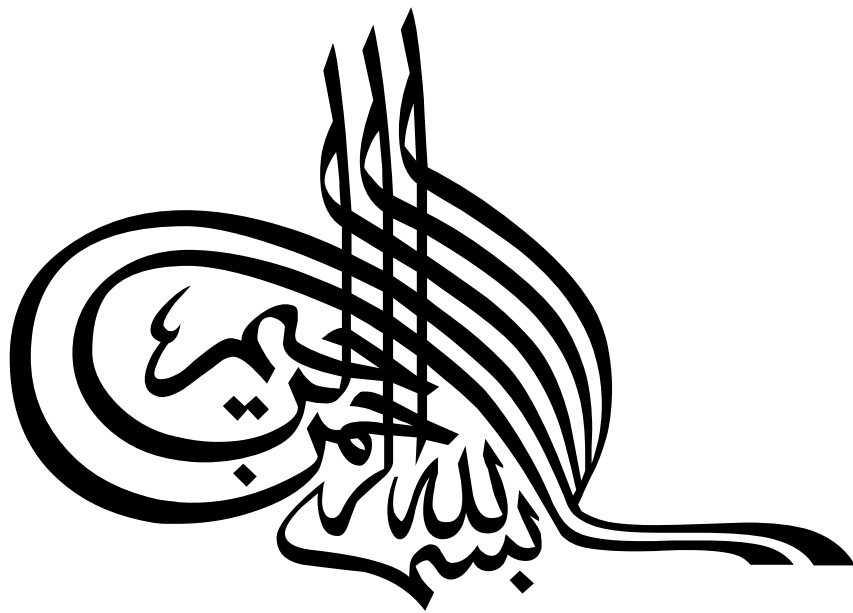
نجم الدين علي مردان

المستشار التربوي للمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم
مدير جامعة آل لوتاه العالمية بالاتصالات الحديثة – الإنترنت

الإمارات العربية المتحدة – دبي

١ / رجب / ١٤٢٨ هـ

١٥ / يوليو / ٢٠٠٧ م



المحتويات

الصفحة	الموضوعات
	الفصل الأول .. نفحات من فاتحة القرآن الكريم بدأت بها سورة الكهف.
	الفصل الثاني .. قصة أصحاب الكهف .. الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى.
	الفصل الثالث .. قصة الرجلين وحوارهما بين الإيمان بالله والكفر به.
	الفصل الرابع .. قصة موسى <small>عليه السلام</small> مع العبد الصالح الخضر <small>عليه السلام</small> في التلمذة القرآنية.
	الفصل الخامس .. آداب التلمذة القرآنية المستوحاة من صحبة موسى <small>عليه السلام</small> للمعلم الصالح الخضر <small>عليه السلام</small> .
	الفصل السادس .. قصة ذي القرنين .. الملك الحكيم والطواف العادل.
	الفصل السابع .. الحكم والعبر المستوحاة من سورة الكهف.

المقدمة

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا"
(الكهف / ١ - ٢)

استلهاماً من بركات الحمد لله رب العالمين .. وانطلاقاً من نفحات قرآنه المجيد الذي أنزله على عبده المصطفى المختار ﷺ بالوحي الأمين، وفي خلوة روحية مباركة، وفي سكون غار حراء في مكة المكرمة، وفي ظلال الكعبة المشرفة، وفي أولى نداءات الرحمن بنزول القرآن الكريم الذي لا عوج فيه .. قيماً بآياته وعظيماً في سوره المقدسة .. ونوراً في سورة الكهف المباركة لما لها من بأس شديد، وبشرى عظيمة لكل المؤمنين الصادقين، وإنذاراً صارماً لكل الكفار والمشركين الذين جعلوا لربهم ولداً، وهم في غيهم مصرون، وعلى ظلمهم ماضون، وفي عذاب الله تعالى في سعيهم خالدون.

سورة الكهف المعبرة بقصص نادرة متميزة .. لها، وفيها دروس وعبر ومحفزات ومثيرات للتأمل والتفكير، وكشف للعلوم، ونور رباني في ملامح منهج قرآني شامل للمدرسة الربانية، ونظرة بصيرية في خلق السماوات والأرض وما بينهما؛ لتكون منبعاً للعلم النافع، وزاداً للقلم المسطور، والعقيدة السليمة، والإيمان الكامل، والتوجه الرباني مع أولى آيات القرآن المجيد: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"
(العلق / ١ - ٥).

في سورة الكهف مؤشرات لعلم رباني غيبي مبارك من خلال قصص قرآنية معبرة، مفعمة بالتصوير الفني والإعجاز المبارك، والكرامة الإلهية الممنوحة لعباد الله المخلصين وأوليائه المتقين .. فهاكم قصة أصحاب الكهف، إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم الله تعالى هدىً وحمايةً وتكريماً وكرامة. وقصة صاحب الجنتين، وما فيها من عظة وعبرة لمن يشكر الله تعالى على نعمه، وإنذار لمن ينكر نعم الله

تعالى، ومن يؤمن بما شاء الله له من فضل كبير. وقصة آدم وإبليس الذي أبى أن يسجد لآدم لغروره الكافر فكان شيطاناً رجيماً إلى يوم الدين. وقصة موسى النبي ﷺ مع العبد الصالح (الخضر عليه السلام) في حوار قرآني منير وتلمذة روحية، وعلم رباني غيبي مشهود، ومواقف تعجيزية عجيبة لا يعلمها إلا الله والعبد الصالح الذي قد كرمه الله تعالى ببعض علمه الغيبي معاتباً لموسى النبي صاحب المعجزات العظيمة المتمثلة بعصاه المباركة، وعلمه الغزير الذي لا يملكه أحد غيره لتكون درساً بليغاً لعلم الله العزيز الحكيم، وهو جل جلاله علام الغيوب لا انتهاء لعلمه ولا نفاذ لكلماته، حيث قال تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (الكهف / ١٠٩).

وكذلك معجزة آدم عليه السلام الذي علمه الله تعالى الأسماء كلها بما فيها من مسميات ومكونات وخصائص وأسرار .. قال تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (البقرة / ٣١). وهنا قالت الملائكة وهم عاجزون عن تحدي المعجزة: "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة / ٣٢). فكان جواب الله تعالى .. ألم أقل لكم أنني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبذون وما كنتم تكتمون، كما في الآية الكريمة: "قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" (البقرة / ٣٣).

بهذه الآيات الجليلات، والمعجزات الربانية المباركات، التي أضاعت الدنيا بأنوار الإسلام، وتجلت على الكون نفحات القرآن الكريم الذي يعد بحق منبع العلم والحكمة، الأمر الذي جعل الرسول الكريم ﷺ يؤكد على أهمية وضرورة تعلم القرآن وتعليمه للآخرين .. قال النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (رواه البخاري). وفي حديث آخر، قال النبي ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" (رواه البخاري).

ثم اختتمت بقصة ذي القرنين بما عنده من علم وحكمة، ورحمة وقوة وسلطان، كما قال تعالى: "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف / ٩٨).

إن قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج الذين أفسدوا في الأرض زمنًا، فسلط الله عليهم ذا القرنين ليجعل بين يأجوج ومأجوج وبين المؤمنين سدًا، حيث قال تعالى: "قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا" (الكهف / ٩٤). وإشارة قرآنية مضيئة، والتفاتة كريمة من ذي القرنين بضرورة العمل الجماعي، والعون الإنساني الواعي لإكمال ما وهبه الله تعالى من علم وحكمة وقوة .. "قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا" (الكهف / ٩٥).

مع نفحات القصص الأربع الواردة في سورة الكهف، من واجبنا أن نحمد الله تعالى بأن جعلنا خلفاء على الأرض، وما جعل فيها من زينة وزخارف وذهب وفضة ومعادن كثيرة ونعم وفيرة، ومتاع كبير، وزروع مباركة باسقة، ومقام كريم. وكلها اختبار للعباد للإفادة من علم الله الذي وهبه لهم، والكشف عن أسرار الكون، ليختبرنا أينما أطوع الله وأحسن عملاً، كما قال عز وجل: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (الكهف / ٧).

وبالعمل بالعلم النافع يفتح الله لنا فكراً جديداً، وعقلاً وقادراً، وإلهاماً مباركاً، وكشفاً جديداً لما لا نعلمه، كما قال الإمام الغزالي في كتابه الموسوم (أيها الولد): "اعمل بما تعلم ينكشف لك ما لا تعلم". وفي الحديث الشريف "أن رسول الله ﷺ قام خطيباً فكان فيما قال إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء" (رواه ابن ماجه).

مع آيات سورة الكهف بقصصها المعبرة المصورة، وبالتأمل بمعجزات الله الغيبية، وكراماته الرحمانية الموهوبة لأوليائه المتقين .. فلاح وقدوة لنا في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف / ١١٠).

ومن هنا كانت سورة الكهف مباركة من عند الله تعالى، وتلاوتها نوراً، والعمل بها صلاحاً وتوحيداً، وحفظها وقايةً وسكينة، كما قال الرسول ﷺ: "من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره" (رواه الطبراني). وقال ﷺ أيضاً: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" (رواه مسلم).

اللهم علمنا ببركات سورة الكهف، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً .. الحمد لله على كل حال، في السراء والضراء، وحين البأس .. اللهم آمين. وصلى الله وبارك وسلم تسليماً كثيراً على حبيب الحق وشفيع الخلق خاتم الأنبياء والمرسلين .. محمد الصادق الأمين ﷺ.

الفصل الأول

نفحات من فاتحة القرآن الكريم بدأت بها سورة الكهف

الفصل الأول

نفحات من فاتحة القرآن الكريم بدأت بها سورة الكهف

سورة الكهف .. سورة قرآنية مباركة، ونفحات ربانية كريمة، ونور رحماني في كل آياتها، وفيها حمد إلهي بعظمة قرآنه المجيد المنزل على عبده ورسوله الكريم محمد ﷺ .. قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا" (الكهف / ١).

سورة الكهف باركها الله تعالى بافتتاح عظيم، وحمد مشكور، وبشرى سارة لكل المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وجائزة كبيرة، وأجر حسن دائم الحصول للمؤمنين الصادقين الذين آمنوا بربهم فزادهم إيماناً، وإنذار شديد للمكذابين المشركين الضالين، وثناء رباني وإرشاد رحماني للعباد في الحمد والشكر للخالق المبدع الحكيم، والرزاق المنعم، والهادي الرحيم، والنور المبين للمؤمنين الذين هم في إيمانهم ثابتون وفي عقيدتهم السليمة ماضون، وعلى ربهم يتوكلون. الله تعالى .. له الحمد والشكر والثناء وحسن العبادة في الدنيا والآخرة، فهو الحكيم العليم في صنعه ومدرسته القرآنية .. بنوره الوهاج، وسراج المضيء في سورة الكهف المنيرة.

سورة الكهف .. بركة دائمة، واستقامة قوية، ودروس وعبر مهداة من رب العالمين لعباده المخلصين. إنها بحق حمد الله تعالى رب العالمين، وانشراح في قلوب المؤمنين، وتلاوة مباركة إلى يوم الدين .. في سورة الكهف حمد الله رب العالمين بكتابه الجليل ليكون مدرسة حياتية شاملة بكل ما فيه من آيات وسور ولوح وقرطاس وعلم كبير ناطق بأولى آياته الحكيمة .. "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق / ١-٥). فالحمد لله رب العالمين الذي هدانا بنور القرآن وبركة العلم والعرفان.

سورة الكهف .. أسئلة اختبارية تجلت في أسباب نزولها لتكون معجزة ربانية، وتحدياً إلهياً عجباً لأخبار يهود المدينة، وتدعيماً وتعزيراً لنبوة محمد ﷺ من خلال

أسئلتهم التي صاغوها لأهل مكة، يختبرون الرسول ﷺ في معرفة أخبار الغابرين من الأقوام .. في أمر الفتنية أصحاب الكهف والرجل الطواف ذي القرنين، وموضوع الروح، فكان الجواب الصادق لكل ما سألوه، إلا الروح حيث قال تعالى على لسان الرسول ﷺ: "قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء / ٨٥). واستكمالاً للإجابات قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول ﷺ افتتح السورة فقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ" (الكهف / ١)'.^١

أجل .. الحمد لله رب العالمين الذي جعل قرآنه المجيد دستوراً لأمة الإسلام، والحكم به بالتمام واجباً إسلامياً إلى قيام الساعة .. قال تعالى: "وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" (المائدة / ٤٤).

الحمد لله رب العالمين على كتابه المنزل ليكون نعمة عظيمة، وهداية كبرى للعالمين، وجمع مبارك إلى الوحدة الإيمانية والإنسانية المتحابّة، والأخوة القرآنية المخلصة .. قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الحجرات / ١٠).

الحمد لله على القرآن الكريم .. كتاب الله، فيه علم الأولين والآخرين، وسعادة الدنيا والآخرة، واستقامة الحياة، وخير الدين لعباده المخلصين إلى قيام الساعة.

الحمد لله على القرآن الكريم .. كتاب الله، فيه دعوة الأنبياء والمرسلين، ومعجزات رب العالمين، رحمة للعالمين في كل حين. أجل .. الحمد لله رب العالمين افتتح كريم لسورة الكهف، فيها منهج شامل لمدرسة ربانية، وآداب تلمذة عبادية مطيعة، وتلاوة معطرة زكية، وسراج منير يخرج الناس من الظلمات إلى النور بعلم نافع، ورضا رباني، وعمران دنيوي متين، وإصلاح متواصل ودعاء في السنة وقلوب المؤمنين .. اللهم اغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجمنا بالصحة والعافية .. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً .. الحمد لله على كل حال، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، إنك سميع مجيب .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

^١ تفسير الطبري، المجلد الثامن، ص: ١٧٤-١٧٥.

الحمد لله رب العالمين الذي أنقذ النبي نوح عليه السلام من الغرق العظيم، حيث قال تعالى: "فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون / ٢٨).

الحمد لله رب العالمين الذي علم آدم بعلمه الغيبي الإعجازي بكل ما في الكون، وما سيكون بأسمائه الحسنی تحدياً للملائكة الذين قالوا: "سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة / ٣٢).

الحمد لله تعالى .. لفظ مقدس تطمئن به القلوب، وتتهذب النفوس وترشد العقول، وما من كلام بليغ إلا باسمه تعالى، وحمده الوفير، وثنائه الكبير .. بذكر "بسم الله الرحمن الرحيم"، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين .. نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله رب العالمين على نعمة الإيمان وسلامة الفطرة الإنسانية، وحب العلم بنور الله. والحمد لله رب العالمين على رحمانيته ورحيميته وحكيمته وتجلياته الرحمانية ومعجزاته الإلهية العظيمة.

الحمد لله الذي رسم في القرآن الكريم منهجاً وطريقاً وحكماً للحياة الكريمة عملاً صالحاً، وفرحةً عظيمةً في يوم القيامة عند الصراط المستقيم، والعبور إلى جنة النعيم والفردوس العظيم.

الحمد لله الذي جعل الحكم بالقرآن المجيد فرضاً على العباد، وشريعةً بين الناس أجمعين .. قال تعالى: "وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (المائدة / ٤٧).

سورة الكهف .. حكمة بالغة، وإرشاد مبين، وعلم غزير، ونفحات غيبية، وسراج منير، وصفاء روعي، ودروس وعبر في العلم والتربية والتهديب في الحكمة والبصيرة الوقادة والإلهام الرباني في الحمد والشكر والثناء لرب العالمين.

سورة الكهف توجت بالحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن المجيد للاستقامة والعدل والطريق المنير، مبتدئة بحمد الله كما بدأت سورة الفاتحة .. "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" (الفاتحة / ١ - ٤). مشاركةً ببدئها في أولى آيات سورة الأنعام .. "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (الأنعام / ١). معظمةً في سورة سبأ .. "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" (سبأ / ١). مكملةً في أولى آيات سورة فاطر .. "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (فاطر / ١).

وهكذا اقتضت إرادة الله تعالى بافتتاح سورة الكهف بحمد الله تعالى لتكون حبيبة رسول ﷺ، حيث يقول الرسول ﷺ: "من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره" (رواه الطبراني). وقال ﷺ: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم الجمعة، وغفر له ما بين الجمعتين" (الترغيب والترهيب). وفي رواية أخرى: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاءت له من النور ما بين الجمعتين" (رواه الحاكم والبيهقي). وقال ﷺ: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" (رواه مسلم).

سورة الكهف .. سورة مُهَدِّئَةٌ وَمُسْكِنَةٌ، كما في الحديث الذي رواه البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين فتعشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: "تلك السكينة تنزلت بالقرآن" (رواه البخاري).

ما أروع النور الرباني الذي يشع من تلاوة سورة الكهف ليشرح صدر المؤمنين بالعلم النافع، والإلهام الرباني المبارك، والتزكية النفسية، والخشوع العبادي، والتأمل في آلاء الله تعالى، والتفكر في السماوات والأرض والكون العظيم، والنفس البشرية العجيبة، حيث قال تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" (الشمس / ٧ - ٩). وقال تعالى أيضاً: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات / ٢١).

العيش مع نور الله تعالى في آيات سورة الكهف يكون مدرسة قائمة بذاتها في الكشف والبحث والتحري لكل حقائق الكون وأسرار الوجود، وعلم رب العالمين

.. "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه / ١١٤). لأنه حقاً ما أوتينا من العلم إلا القليل، فلا بد من التفكير والبصيرة والتأمل، حيث قال تعالى: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء / ٨٥). فلا بد إذن من التعلم والسؤال المتواصل، ومتابعة الخبراء وأهل العلم وأهل الذكر من عباد الله الصالحين، تحقيقاً لقوله تعالى: "فَأَسْأَلُ بِهِ خَيْرًا" (الفرقان / ٥٩). وقوله عز وجل: "فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل / ٤٣).

وكان الموقف المبارك للنبي موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر عليه السلام في الكشف عن علم الباري الغيبي .. علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله جل جلاله، وتجلي ببعضه على عباده المكرمين وأوليائه الصالحين بالكرامة والعلم الغزير. وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف، إذ يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (رواه البخاري).

لأجل العلم اليقيني خلق الله الأرض زينةً للناس أجمعين ليختبرهم من منهم أحسن عملاً واستثماراً لنعم الله تعالى، حيث قال الله جل جلاله وعظم سلطانه وعم رحمانه: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (الكهف / ٧).

الحمد لله الذي شرفنا بالقرآن الكريم، وأعاننا على فهم قصص سورة الكهف المعبرة، والانبهار بمعجزاته الغيبية، وكراماته الموهوبة لأوليائه المتقين، وهدانا إلى الإيمان والعمل الصالح، ونور قلوبنا بذكره تعالى واللقاء به جل جلاله .. قال تعالى: "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف / ١١٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم .. "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (آل عمران / ٨).
يا رب .. اجعلنا مع المتقين الأخيار لنحظى بنفحات من علمك الغزير .. وتلاوة قولك الحق: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" (البقرة / ٢٨٢) .. آمين يا رب العالمين.

الفصل الثاني

قصة أصحاب الكهف .. الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم إيماناً

الفصل الثاني

قصة أصحاب الكهف .. الفتيّة الذين آمنوا بربهم وزادهم إيماناً

يتميز بيان القرآن الكريم في سوره وآياته بقصص تصويرية رائعة، ويتفرد بأساليب بلاغية جميلة، ويتلخص بمنظومات لغوية متماسكة، وإرهاصات قلبية زكية، ويتناول مناهج تربوية رشيدة، ويشتمل على دروس حياتية سامية، وتفوح من خلال قصصه نفحاتها ربانية مؤثرة في النفوس الزكية الحائرة، والقلوب البصيرية الوالهة، والعقول المفكرة الواعية. ويكرر بتذكيرات إيمانية زائدة، توجج المشاعر الإنسانية النبيلة، والعواطف النفسية المرهفة، ويشدد بإنذارات إلهية ذات بأس شديد، وعذاب حميم دائم للمشركين الغافلين الذين يصرون على كفرهم وعصيانهم لرب العالمين، وفي عبادتهم للأصنام والأوثان ماضون، فحق على الله تعالى حرمانهم من رحمته الواسعة.

حقاً إن القرآن الكريم بقصصه الرائعة عن الأنبياء والرسل وعباد الرحمن وأوليائه المكرمين عظيماً في سرده، وبلغاً في العبرة والعظة والاستقامة والعبادة الحقّة. ومن هنا كان الاستمتاع بالقصة من الأمور الفطرية السليمة، وإن أسلوب القصة وتلاوتها أحب الأساليب التعبيرية لدى الناس جميعاً .. يتمثل ذلك في قصة آدم عليه السلام في كيفية خلقه، وتحديه بعلم الله تعالى بأسماء الدنيا للملائكة، بأولى معجزات رب العالمين خالق الكون والسموات والأرضين، ثم تمتعه مع زوجته حواء عليها السلام في نعيم الجنة وبركتها، ووقوعهما في أحابيل الشيطان الرجيم، والعصيان لأمر الله، وخطئهما في أكل ثمر الشجرة الممنوعة، ثم تضرعهما بربهما جل جلاله، بالتوبة وطلب الغفران، مما أدى إلى أن ينال آدم عليه السلام وذريته شرف خلافة الله في أرضه الواسعة، وتنفيذ أمر الخالق بعمران الأرض، وإرضاء الله تعالى، ونشر الفضائل بين العباد إلى يوم القيامة. كما قال تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ" (البقرة / ٣٦).

وفي الحقيقة إن القصص القرآنية من ساعة نزولها كانت موضع اهتمام الصحابة والتابعين والمسلمين عبر التاريخ الإسلامي، وأصبحت القصص القرآنية حديثاً في مجالسهم، وأسلوباً لتعليمهم الشعائر الدينية في رحاب مؤسساتهم التعليمية ومرابعمهم التربوية، ومنابر مساجدهم العبادية، وإيداع كتبهم الدينية، وتفاسيرهم القرآنية، مما حدى بهذه القصص أن تكون منهجاً حياتياً فاعلاً، وأسلوباً إرشادياً تذكيرياً مؤثراً .. أجل إن القصص القرآنية بأسلوبها الرائع، ومادتها الإصلاحية، ومغازيها الهادفة العامرة، قد تميزت بأن تكون مدرسة قائمة بذاتها للتعلم والتربية، ومناهج شاملة في الحكمة والعلوم، ووسيلة مشوقة في اكتساب المعرفة والثقافة والآداب. ولأجل هذا فقد جعل القرآن الكريم في سوره وآياته القصة محوراً لأخبار الأنبياء والرسول والأولياء ذكراً فيها ابتلاءاتهم مع أقوامهم، ومصائب أممهم، ودمار قراهم عبر القرون للظة والذكرى للمؤمنين، حيث قال تعالى ﷻ: "كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود / ١٢٠).

إن القصص القرآنية تعبير صادق ومؤثر عن الخالق رب العالمين، وهو العزيز الحكيم. كما قال تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (آل عمران / ٦٢).

وكما أن القصص القرآنية مبشرات ومعززات من لدن حكيم عليم .. الله رب العالمين لرسوله المصطفى ﷺ تصديقاً لنبوته ودعوته المباركة ورسالته الإسلامية، وخاتمة الرسالات الربانية، حيث قال الله ﷻ: "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" (يوسف / ٣).

وتواصلت مع نفحات القصص القرآنية المعبرة، واطمئناناً لرسول الله ﷺ بالقرآن الكريم، وتصديقاً لنبوته الكريمة، وإبلاغاً لعلم الله تعالى الغيبي في الرد على أسئلة المشركين، ودسياسة يهود المدينة، قد نزلت سورة الكهف، وجاءت فيها قصة الفتية الذين آمنوا بربهم أصحاب الكهف لتكون من المعجزات العظيمة، والتعزيزات الربانية القوية على صدق رسالة النبي محمد ﷺ، والبشارة الرحمانية للمؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، كما قال الله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا" (الكهف / ١-٢).

قصة أهل الكهف معجزة ربانية في رسم إيمان الشباب أصحاب الكهف الذين تمردوا على ملكهم المشرك الجبار، وجور ملتهم من المشركين الذين أطاعوا ملكهم الكافر الذي يجبر الناس بالظلم والقوة على الشرك بالله وعبادة الأصنام والأوثان. فجاءت للشباب المؤمن رحمة من عند الله تعالى، وآواهم برحمته الواسعة في الكهف، لتكون قصتهم كرامة لهم من الله تعالى، وشاهدة على حبهم لله تعالى وحب الله لهم، وعظة لكل المؤمنين الشباب منهم في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، حيث قال تعالى: "تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (الكهف / ١٣).

أصحاب الكهف شباب آمنوا بربهم، عبدوا الله الواحد القهار بحب وتوكل، وتميزوا بقوة عزيمتهم، ورسوخ عقيدتهم، وصلابة موقفهم تجاه ظلم ملكهم "دقيانوس" الكافر، فكان حقاً على الله تعالى حمايتهم وربط قلوبهم بالإيمان، وعهدهم مع الله تعالى رب السماوات والأرض بالعبادة الحقة والولاء المخلص، كما قال تعالى: "وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا" (الكهف / ١٤).

وصف الله تعالى أصحاب الكهف بالفتية المؤمنة القوية التي تتصف بالقوة والشجاعة والجرأة والإقدام والطاعة والإيمان، ومن هنا كان ولا يزال الشباب هم الرعيل الأول، والشريحة المباركة في كل حركة إصلاحية بناءة، وبخاصة في مجال الدعوة الإسلامية .. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، كما قال تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب / ٢٣).

أصحاب الكهف .. الله ﷻ عزلهم من الشرك والمشركين رحمة بهم وإيرازاً لكرامتهم، ونشراً لدعوتهم، حيث قال تعالى: "وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُومًا وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا" (الكهف / ١٦).

إن قصة أصحاب الكهف معجزة ربانية لتكون جواباً نبوياً لقريش الكافرة، الذين كانوا في شك بنبوته ﷺ فأرادوا اختباره، والتأكد من صدق نبوته ﷺ. وتجلى ذلك في أسباب النزول حيث ذكرت معظم التفاسير أصحاب الكهف ومعهم صاحب الجنتين، ولعل أهم هذه التفاسير: تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وتفسير الطبري، وتفسير الألوسي، وتفسير سيد قطب، وتفسير الشعراوي .. وكل هذه التفاسير قد ذكرت قصة نزول سورة الكهف بتفصيلات متنوعة، إلا أن الشيخ الشعراوي قد ذكر بوضوح واختصار، حيث قال ما نصه: "إن قصة أصحاب الكهف كانت نتيجة لسؤال كفار مكة الذين أرادوا أن يخرجوا رسول الله ﷺ، ويروى أنهم أرسلوا رجلين منهم هما النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى اليهود أهل الكتاب في المدينة ليسألوهم عن صدق رسول الله ﷺ وما خبره عندهم، وما ورد عنه في كتبهم، وقد كان يهود المدينة قبل البعثة يتوعدون الأوس والخزرج عبّاد الأصنام، ببعثة النبي الجديد، ويقولون لقد أطلّ نبي نتبعه ونقلكم به قتل (عاد وإرم)، لذلك رغب أهل مكة في سؤال يهود المدينة عن صدق رسول الله ﷺ، فلما ذهب الرجلان إلى يهود المدينة، وقالوا: إن أردتم معرفة صدق محمد ﷺ، فاسألوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجابكم فهو صادق .. اسألوه ما قصة القوم الذين ذهبوا في الدهر مذاهب عجيبة؟ وما قصة الرجل الطوّاف الذي طاف الأرض شرقاً وغرباً؟ وما الروح؟".¹

وفعلًا ذهب الرجلان إلى رسول الله ﷺ وسألاه هذه الأسئلة فقال ﷺ: "أخبركم بما سألتكم عنه غدًا"، وجاء غد وبعد غد، وممرت خمسة عشر يوماً دون أن يوحى لرسول الله ﷺ شيء من أمر هذه الأسئلة، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ في هذه المسألة أنه قال: "أخبركم بما سألتكم عنه غدًا" ولم يقل إن شاء الله، ولذلك خاطبه ربه تبارك وتعالى بقوله: "وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف / ٢٣-٢٤). وهذه الآية الكريمة في حد ذاتها دليل على صدق رسول الله ﷺ، وعلى أدبه وأمانته في البلاغ عن ربه جل جلاله، وقد أراد سبحانه أن يكون هذا الدرس في ذات الرسول ليكون أنموذجاً لغيره، حتى لا يستتكف أحد إذا

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء العاشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٥م، ص: ٣٤٧.

استدرك عليه شيء، فهذا هو محمد رسول الله ﷺ يستدرك عليه ربه ويعدل له، فكان قوله تعالى: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (الكهف / ٢٣-٢٤). فجاءت هذه الآية الكريمة تربية للأمة في شخصية رسولها حتى لا يستتف المربي عن توجيه طالب العلم، ما دام الهدف الوصول إلى الحقيقة، فإياكم أن ترفضوا استدراك رأي على رأي، حتى إذا كان من الخلق، فما بالك إن كان الاستدراك من الخالق سبحانه، والتعديل والتربية من ناحيته^١.

استكمالاً للموضوع نذكر ما قاله الطبري في تفسيره حيث أضاف قائلاً: "إن جبريل عليه السلام نزل من الله تعالى بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليه، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقوله تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء / ٨٥)^٢.

كانت آيات سورة الكهف في استغراب وعجب من قبل الفتية أصحاب الكهف، وذلك لغرابة الموقف، وعظيم شأن القدرة الإلهية، وعجبهم بآيات الله، علماً بأن آيات الله تعالى ومعجزاته كلها عجيبة، حيث قال تعالى: "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا" (الكهف / ٩).

وإن أصحاب الكهف وهم شباب على فتوتهم، وإيمانهم الراسخ، وعزيمتهم القوية، قد وقفوا أمام الطاغية مليكهم الظالم بكل ثبات وحزم غير خائفين ولا مترددين، وهم على ربهم متوكلون، وبرحمة ربهم واثقون، وفي عبادة خالقهم خاشعون، ولعبادة ملكهم وملتهم للأصنام منكرون، فلا عجب من أن ينالوا كرامة ربهم .. "إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (الكهف / ١٣).

وبشرنا رسول الله ﷺ لهم ولكل الشباب المؤمن بثواب الجهاد عند أي سلطان جائر في كل زمان ومكان، حيث قال الرسول ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر" (رواه أبو داود).

^١ محمد متولي الشعراوي، سورة الكهف، ص: ٨٨٤٣-٨٨٤٤.

^٢ الطبري، تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن)، المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص: ١٧٤-١٧٥.

وهكذا فإن أصحاب الكهف، الشباب المؤمن أصبحوا أنموذجاً ومثالاً وقُدوة لكل الشباب الذين هم دائماً الرعيل الأول، والفئة القوية في كل حركة إصلاحية بِنَاء في كل عهد وعصر، وينعمون بظل ربهم يوم الحشر، حيث لا ظل إلا ظل الله تعالى، كما بشرنا النبي محمد ﷺ بقوله: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ... (رواه الصحيحين).

أجل .. شباب أصحاب الكهف هم الذين ضربوا أروع مثال في صلابة الإيمان أمام مواقف الكفر الشائعة لدى السلطان الجائر وقومه الكافرين الذين هم على دين حاكمهم تابعون .. وأما أهل الكهف فهم شباب مؤمنون بربهم العظيم، تاركين لهو الدنيا ونعيمها، فأووا إلى الكهف الضيق كي ينالوا رضا ربهم ورحمته الواسعة وهم في الكهف راقدون، وفي نومهم يتقلبون.

شباب آمنوا بربهم فدخلوا مدرسة ربهم بالإيمان الصادق، والعبادة الحقة، والعقيدة السليمة، فنالوا شهادة ربهم وكرامته بأن جعلهم آية لكل الشباب في كل زمان ومكان، حيث قال تعالى: "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (محمد / ١٧). وبإيمانهم وعهدهم لله تعالى، زادهم الله هدىً وتقوى وإيماناً وتسليماً، فصدقت عليهم الآية الكريمة: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب / ٢٣).

أصحاب الكهف شباب مؤمن أحاطهم الله تعالى برحمته الواسعة، وقدرته الجبارة، وجعل أمرهم من حيث العدد والزمان والمكان مبهماً غير مُصرَّح به حتى يتحرك تفكير الناس وتأملاتهم كلما قرعوا سورة الكهف. وقد فسّر الشيخ الشعراوي في تفسيره: بأنهم فتية آمنوا بربهم حيث أبهمهم الله تعالى لتحقيق الفائدة المرجوة من القصة .. أبهمهم زماناً، وأبهمهم مكاناً، وأبهمهم عدداً، وأبهمهم أشخاصاً، ليشتيع خبرهم بهذا الوصف في الدنيا، والقيام به أمر واجب وشائع في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا هو عين البيان للقصة هذه، وهذا هو المغزى من القصة^١.

ولأجل هذا اقتضت حكمة الباري تعالى بإبهامات جديرة بالتأمل والتفكير في غيب السموات والأرض، كما قال تعالى: "قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

^١ الشعراوي، تفسير سورة الكهف، ص: ٨٨٦٧.

وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (الكهف / ٢٦). ثم قال تعالى: "فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا" (الكهف / ١١-١٢).

وهكذا فإن رقودهم ونومهم الطويل الذي استغرق (ثلاثمائة سنة وتسعاً) شبيه بالموت، ليرى الله عز وجل أي الفريقين أدق إحصاء للمدة التي ناموا نومهم الطويل في الكهف دون أن يصيبهم أذى في جسمهم، ولا خلافاً في عقولهم، ولا ضعفاً في إيمانهم، وهم يتساءلون فيما بينهم كم لبثوا في الكهف؟ وقالوا يوماً أو بعض يوم إلا أن جواب ربهم قد جاء بالآية الكريمة: "وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا" (الكهف / ١٩).

لقد لبثوا في الكهف هذه المدة الطويلة في النوم العميق دون أن يأكلوا أو يشربوا أو يتنفسوا أو يتكلموا أو يسمعوا، ثم أحياهم الله تعالى وأيقظهم ليسأل بعضهم بعضاً: كم لبثوا في الكهف؟ وظهر لهم أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم، لأنهم ظنوا أن الشمس قد غربت، ثم رأوها لم تغرب فقالوا: أو بعض يوم، وقال بعضهم إن الله تعالى هو أعلم بمدة مكوثنا في الكهف، وكان جواب ربهم في الآية الكريمة: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (الكهف / ٢٥-٢٦).

واقترضت إرادة الله تعالى بأن يعرف أمر رقودهم، وكرامة نفوسهم، ومكانتهم عند ربهم لدى قوم مؤمنين الذين ألهمهم الله تعالى بالإيمان ووصفهم بأنهم فتيحة آمنوا بربهم وزادهم هدىً، وجعل لهم من أمرهم مرفقاً، ووجودهم في الكهف شاهداً وذكرى في مكان وبنيان قائم، ومسجد يذكر فيه اسم الله تعالى، ويعبد فيه المولى ﷺ، حيث قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَابَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتَنَا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا" (الكهف / ٢١).

وهكذا اقتضت إرادة الله تعالى بهذه الخاتمة المباركة لقصة أهل الكهف .. لفتيةً آمنوا بربهم فزادهم الله كرامةً وتخليداً إلى قيام الساعة .. يا رب هب لنا ولشبابنا مثل هذه الرحمة الواسعة التي أنعمت بها على أهل الكهف، الشباب المؤمن في رحاب دعوة الإسلام، وفي صحوته الكريمة بالقول والعمل .. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (الصف / ٢ - ٣).

الفصل الثالث

قصة الرجلين وحوارهما بين الإيمان بالله والكفر بنعمه

الفصل الثالث

قصة الرجلين وحوارهما بين الإيمان بالله والكفر بنعمه

استلهاماً من نفحات سورة الكهف التي افتتحت بالحمد لله على ما أنزل الله تعالى على عبده محمد ﷺ .. القرآن الكريم لا عوج فيه، وبشرى للمؤمنين الصادقين، وبأساً شديداً للمشركين الكافرين، ودستوراً كاملاً للعالمين جميعاً .. واستبصاراً بنور الله تعالى في آيات سورة الكهف في الوعظ والإرشاد .. واستكمالاً لإرهاصات قصص سورة الكهف، مبتدئاً بقصة الشباب المؤمن الذين آمنوا بربهم فزادهم الله إيماناً على إيمانهم، فعاهدوا الله تعالى بالعبادة الحقة، وصراعهم مع مليكهم الكافر الظالم الذي يجبر الناس على الشرك وعبادة الأصنام والأوثان .. فحمايةً للفتية المؤمنة جاءت معجزة الله الكبرى فأواهم في الكهف راقدين سنين عديدة، حفاظاً على إيمانهم وعقيدتهم السليمة، وكرامةً لهم في رقودهم وبقائهم، ليكونوا بعد ذلك آيةً من رب العالمين، ولينالوا حب الله والناس أجمعين في بنيان مشهود، ومسجد معمور إلى قيام الساعة .. وتواصلًا لحكمة الله تعالى وقدرته العظيمة في رسم منهج القرآن الكريم في بيان الخير والشر، والتواضع والغرور، والطمأنينة والتكبر. وتفصيلاً في طبيعة الإنسان في دنياه، وتوضيحاً للفرق بين القيم الإيمانية النبيلة في الحمد والشكر، والرضا والقناعة، وبين القيم الشيطانية الماكرة في السوء والنكران لما وهبهم الله من نعم وإحسان وخلقٍ قويم، وتبياناً للفرق بين النفس مطمئنة الزكية رحمةً من عند الله تعالى .. "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَاَدْخُلِي جَنَّتِي" (الفجر / ٢٧-٣٠). وبين النفس العاصية الأمرة بالسوء والفجور .. بين المؤمنين القانعين بما رزقهم الله تعالى من خيرات منها ينفقون، وبين المشركين الضالين الذين يمنعون الخير وينكرون نعم الله عليهم، كما وصف الله فردهم فقال: "مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَنِيمٍ" (القلم / ١٢).

بهذا التوازن الرباني الرائد جاءت القصة الثانية .. قصة رجلين صاحبين، وقد جعل الله تعالى لأحدهما جنتين، أي بستانين بكل ما فيهما من نعم وفيرة، ورزق

كريم، وخير كثير، ونهر جارٍ، امتحاناً للإيمان الصادق، والقناعة والتواضع، والشكران المبين، والحمد الدائم.

أجل .. جاءت قصة الرجلين لرسم صورة معبرة لرجل مؤمن متواضع وصالح حباه الله تعالى بنعمته على قدر حاله، وهو قانع بما كتب الله له من رزق محدود، وما أقره على الإنفاق به على الفقراء والمساكين وهو دائم الدعاء .. اللهم زد وبارك قولك الحق .. "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (إبراهيم / ٧). فهو دائم الاعتزاز بدينه وإيمانه وعقيدته، متوكلاً على ربه، وهو يرجو من الله تعالى ما هو خير من جنة الدنيا والثمار والأنهار الجارية على الأرض. وهناك رجل آخر وهو صاحبه قد وهبه الله تعالى جنتين (بستانين) عامرين بالأعناب والنخيل والزروع والثمار والأنهار الجارية بينها، وأصبح في غنى ومال وفير، وزرع كثير، إلا أنه كان مغروراً وناكراً لنعمة ربه، ومشركاً بخالقه، وبطراً بما عنده من حشم وذرية، فأصبح مناعاً للخير، طاغياً في الشر، حيث قال تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى" (العلق / ٦-٧). ومن يكفر بنعم الله تعالى ولم يشكر ما وهبه من إحسان فإن عذاب الله له شديد .. "وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (إبراهيم / ٧).
لمثل هؤلاء ضرب الله تعالى المثل الرائع في الرجلين .. "وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا" (الكهف / ٣٢).

فقد ذكر الله تعالى أن لأحدهما جنتين بما فيهما من نخل باسقات، وأعناب متدليات، وزروع مخضرات، وثمار لذيزات، فيها منافع كثيرة في الأكل والبيع والشراء. ولحكمة ربانية عظيمة فجر الله بينهما أنهاراً جاريات، لدوام الخير، ونمو الأشجار، وازدهار البساتين، ونضوج الثمار وتكاملها. وهكذا أخبر الله تعالى بهاتين الجنتين بوصف رائع في قوله تعالى: "وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا" (الكهف / ٣٣).

وهنا أخذ الغرور يسري في قلب ومشاعر صاحب الجنتين العامرتين، فأحاط به الكبرياء، وغرته الدنيا، وأذهلته الثروة الكبيرة، والغنى الفاحش، وأبترته الأموال الهائلة، وكثرة البنين، وألهته عمارة الجنتين بما فيهما من خير عميم، ورزق وفير،

وشهرة عظيمة، حيث قال تعالى: "كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا" (الكهف / ٣٣). وبغروره ونكرانه بما أنعم الله تعالى عليه بالجننتين، وفساد عقيدته، وشركه بالله ﷻ، بدأ يتعالى على صاحبه الفقير القانع، ويقول له: أنا أغنى منك، وأكثر منك مالاً وولداً، وهنا بدأ الحوار القرآني الهادئ بين الرجلين، وهما في إحدى الجنتين، حيث قال تعالى: "وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا" (الكهف / ٣٤).

في الحقيقة إن الحوار الهادئ يعد أسلوباً قرآنياً بديعاً في مجال الإقناع والتدبر. فالحوار الهادئ أسلوب كلامي صائب يبين الصواب من الخطأ بتأمل وتبصر وحكمة بالغة، ليصل الإنسان إلى القناعة والعظة والعبرة.

أسلوب الحوار منهج تعليمي فعال، وهو من الطرق التدريسية المتبعة في كل المستويات التعليمية .. أسلوب الحوار أخذ وعطاء وبراهين صادقة، وأدلة صائبة، وفائدة مرجوة فيمن يريد إحقاق الحق، ودحض الباطل. فالحوار المتمسم بالهدوء والمنطقية والعقلانية، أسلوب دعوي حكيم، ولسان الداعية إلى الله، حيث أمرنا تعالى بالقول به في الدعوة إلى سبيل الله العظيم .. سبيل مالك الملك سبحانه وتعالى .. قال تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل / ١٢٥). وفي مجال العلم بين الأستاذ وتلاميذه في الصفوف التعليمية باختلاف مستوياتها للوصول إلى الحقيقة العلمية الصائبة أينما وجدت عن فهم واقتناع ذاتي في التعلم النافع.

وصاحب الجنتين يقول بإصرار وظلم بأن جنتيه باقيتان ولن تبيداً أبداً، وأن الساعة غير قائمة، وليست بآتية، وبهذا الشأن يقول رب العزة: "وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا" (الكهف / ٣٥).

نعم .. دخل جنتيه بكفره وغروره وتمرده وجبروته، وإنكاره للميعاد في يوم الميعاد، وقد أخذه الغرور والكبرياء لما رأى ما في الجنتين من أشجار وثمار وزروع وأنهار جارئة، ويقول ما أظن أن الساعة قائمة، وبالرغم من شركه فهو يريد من ربه أن يغدق عليه من الخير والنعمة .. يقول تعالى: "وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا" (الكهف / ٣٦).

وهنا بدأ صاحبه يحاوره بهدوء بعد أن سمع النكران والجحود والغرور، وضياح الإيمان من صاحب الجنتين، ووجد في كلامه فساد للعقيدة، وطغيان للقوة، ونسيان لحمد الله تعالى والشكر على أفضاله الكريمة، ونعمه الجزيلة. وبهدوء تام، ومنطق متزن أخذ يحاوره عسى ولعله يتمكن من إعادته إلى جادة الصواب، كما قال تعالى: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا" (الكهف / ٣٧).

قال المؤمن لصاحب الجنتين .. يا صاحبي: تواضع لله ولا تنكر نعمه، وتجنب أن تكفر بما وهبك الله من خير، وهو الذي خلقك بشراً سوياً. أليس الله تعالى خلقك من تراب، ثم من نطفة غير مخلقة، ثم جعلك في رحم أمك، ثم جعلك طفلاً، ثم سواك رجلاً في أحسن تقويم، حيث قال تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنَ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (غافر / ٦٧). وقال تعالى أيضاً: "قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ" (عبس / ١٧-٢٠).

وهنا استمر الناصح الأمين مع صاحبه بالحوار الهادئ آملاً منه أن يتعظ، حيث قال تعالى على لسانه: "وَلَوْ لَا إِذِ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا" (الكهف / ٣٩). وقال الرجل الناصح المؤمن: أما أنا فأقول بإخلاص إن الله تعالى خلقني ورزقني ولا أشرك به تعالى أبداً .. "لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف / ٣٨).

بمثل هذه الرؤية الصائبة ينال الإنسان من ربه خيراً وقيماً، وجنة أسمى من جنات الأرض مجتمعة مع بعضها .. وحتى لا تزول نعم الله تعالى، فيصبح في نهاية المطاف نادماً متحسراً على أفعاله وأقواله السيئة .. قال تعالى: "فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا" (الكهف / ٤٠).

وهنا يُذكر الرجل المؤمن الصالح صاحبه الضال بأن الولاية الحقّة هي لله تعالى، وهو عَلَّامُ الْغُيُوبِ الوهاب المعطي القادر على كل شيء، وأمره تعالى بين الكاف والنون،

فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ولا نصر يتحقق إلا بمشيئته، ولا إنجاز يحصل إلى بإرادته، وثوابه هو خير الثواب، وجزاؤه هو خير الجزاء للمؤمنين المتقين، بينما هو شديد على المشركين الكافرين، وما يبقى عنده من خير فهو خير مما يجمع بني البشر كلهم .. كما قال تعالى: "وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا" (الكهف / ٤٣-٤٤). ثم جفت المياه في الجنتين، وغارت أرضهما، ولم يبق لهما أثر. فحفروا إلى أن وصلوا إلى مسافات بعيدة، ولم يستطيعوا أن يدركوا هذا الماء، ولا أن يصلوا إليه، فكان ذلك عقوبة لهم من المنتقم الجبار، وإنما يأتي به الله إذا أنزله من ماء السماء .. حيث قال تعالى: "أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف / ٤١-٤٢).

وهكذا ضاعت الجنتان، وضاعت الثمار، وبيست الزروع، وجفت الأنهار، فتأسف الرجل المغرور على ما أنفق فيهما من مال وجهد، فأخذ يقلب كفيه حسرةً وندماً على الآمال العريضة التي أصبحت هباءً منثوراً، فأصبحت الجنتان خاويتين على عروشهما جزاءً ما اكتسب لسانه من القول الآثم، ولغرور نفسه الظالمة، ولنكرانه نعم الله تعالى، ولشركه بالله تعالى، ولإنكاره ليوم الحساب .. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. يقول تعالى: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء / ٨٨-٨٩).

من كل ما سبق تتضح حكمة الله تعالى في ضربه المثل القرآني الرائع من خلال حوار قرآني هادئ بين الغني الجاحد الذي وهبه الله تعالى الجنتين، وبين الفقير المؤمن القانع ولسان حاله يقول دوماً .. ربي الله تعالى ولا أشرك به أحداً، ثم بين الله تعالى لنا بأن الإنسان يجب أن لا تخدعه الدنيا بمظاهرها الكاذبة، ولا يغرنه كثرة المال الذي يرزقه الله إياه، بل ينبغي عليه أن يجعل الله الواهب المنعم في قلبه، وذكره على لسانه دائماً بالحمد والشكر، ويقول من أعماقه .. ما شاء الله تعالى، كي تدوم نعمه ويباركها بالزيادة، لأنه بالشكر والحمد تزيد النعم ويباركها الله، وتستمر الأفضال، ويثمر الخير، ويعم الرخاء.

وقد وجدنا كيف أن الله تعالى بسبب غرور الرجل ونكرانه للإحسان؛ سلط على الجنتين قوته وقدرته الإلهية، فأصابهما الجفاف، فأصبحتا بين عشية وضحاها هشيماً تذروه الرياح، وغدت أرضهما صعيداً زلقاً.

وهكذا كان عقاب الله تعالى لصاحب الجنتين هو زوال الجنتين بما فيهما من خير وفير، وزرع كريم، فكانت الحسرة والندم، وحرمانه من رحمة الله، حيث قال تعالى: "وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا" (الكهف / ٤٥).

ضرب الله تعالى لنا هذا المثل في قصة الرجلين ليتدبر الإنسان نعم الله تعالى، ولا يأخذه الغرور، وإنما عليه أن يتخذ من القصة درساً ووعظاً وإرشاداً فلا يغرره المال والبنون، وإنما ينظر إلى هذه الأمور على أنها زينة الدنيا العاجلة الزائلة، ويبقى الخير .. كل الخير في جنة الله الخالدة في يوم الحساب .. يوم القيامة والحشر المبين. وما على المؤمن إلا أن يزداد إيماناً ويستقر الإيمان في قلبه وعلى لسانه، ذاكراً المولى سبحانه .. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .. كما يقول الباري تعالى: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا" (الكهف / ٤٦).

يا أيها الإنسان .. لا تركز إلى الحياة الدنيا الفانية، واعلم أن الفضل والنعم والخير الوفير كله من عند الله عز وجل، فكن شاكراً لله، واجعل دعاءك: يا رب اجعلني مع الشاكرين، وكن حريصاً على الباقيات الصالحات من الذكر والصلاة والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار، وإعطاء الصدقات وإيتاء الزكاة. فقدم لآخرتك في يوم القيامة بالباقيات الصالحات التي تبقى لك أجراً وذخراً عند الله تعالى، فالباقيات الصالحات كما يقول الجمهور: هي الكلمات المأثورة .. "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم". حيث قال رسول الله ﷺ: "استكثروا من الباقيات الصالحات" قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: "التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله" (رواه ابن حبان).

وفي الختام .. نذكر قول سيد قطب (رحمه الله تعالى) حول طمأنة الله لرسوله الكريم ﷺ في تفسيره (في ظلال القرآن): "هكذا كان التوجيه الرباني للرسول ﷺ في أن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم في الغداة والعشى يريدون وجهه، الذي ينسجم مع قصة الجنتين بظل المثل المضروب للحياة الدنيا، ومع هذا التقرير الأخير للقيم في الحياة وبعد الحياة، وتشترك كلها في تصميم القيم بميزان العقيدة كلها في السورة، وفق قاعدة التناسق الفني والتناسق الوجداني في القرآن"¹.

وبعد هذه القصة .. قصة الرجلين المعبرة، وتجاوزهما القرآني الواعظ .. سننتقل إن شاء الله تعالى إلى الفصل اللاحق بالسرد والتحليل لقصة النبي موسى ﷺ مع العبد الصالح الخضر عليه السلام .. في رحاب العلم والتعلم، والتلمذة القرآنية الرشيدة، والمدرسة الربانية الحياتية النافعة.

وهكذا تتجلى لنا قدرة الله تعالى، ورحمته الواسعة لكل إنسان يحمد ربه على أفضاله، ونعمه، وخيره الوفير الذي أنعمه عليه. وغرور إنسان يكفر به، ينكر نعم الله تعالى، فينحرم منها في النهاية، لينطبق عليه قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" (الانفطار - ٦ - ٨).

¹ سيد قطب، في ظل القرآن، ص: ٢٢٧٢.

الفصل الرابع

قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر عليه السلام في التلمذة القرآنية

الفصل الرابع

قصة موسى ﷺ مع العبد الصالح الخضر ﷺ في التلمذة القرآنية

استبصاراً بنور القرآن الكريم، وانشراحاً من تلاوة سورة الكهف، وتأملاً بآياتها وقصصها المعبرة الواعظة، وإرادتها الحكيمة، وبحثاً عن المواقف الإلهية العليمة، نبدأ بقصة النبي موسى ﷺ مع العبد الصالح الخضر ﷺ في محراب العلم والتعلم، ومواقف التلمذة القرآنية الودیعة لموسى ﷺ مع عبد من عباد الله الصالحين .. الخضر ﷺ. وما أروعها من قصة، وما أجملها من مواقف مقدسة لموسى ﷺ كليم الله في جانب الطور الأيمن .. موسى النبي الكريم ﷺ الذي اصطفاه الله تعالى نبياً ووهب له المعجزات التي تمثلت بعصاه المباركة التي تحدى بها فرعون الجبار الذي كفر بربه، وقال: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى" (النازعات / ٢٤) .. العصا الربانية جعلت فرعون في خوف رهيب، والسحرة الكبار في استسلام إيماني، مؤمنين بإله موسى وهارون، بعد أن عجزوا أمام قدرة الله عز وجل، ومعجزة عصا موسى التي التقطت كل ما قدموا من سحر عظيم.

موسى النبي ﷺ اصطفاه الله تعالى ليكون نبياً مخلصاً، ورسولاً أميناً، وعبداً عالمًا، وداعياً قومه إلى سبيل الصراط المستقيم، حيث قال تعالى: "وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا" (مريم / ٥١-٥٣).

وكان موسى ﷺ مقرباً من الله تعالى، ونبياً نجياً، وحافظاً أميناً لرسالات ربه، وتبليغ كلامه المقدس بحكمة، وشاكراً لما وهبه الله تعالى من معجزات واستقامة، كما قال تعالى: "قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ" (الأعراف / ١٤٤).

العبد الصالح الخضر ﷺ، جعله الله تعالى بمكانة رفيعة، ومقام كريم .. جعله معلماً لنبيه الرسول موسى ﷺ، وباركه بنفحات النبوة، وكرامة أولياء الله المتقين. جعله الله عز وجل في رحمته الواسعة، وأكرمه ببعض علمه الغيبي الخاص به تعالى .. جعله بقلب سليم وشكران دائم، وأنوار ربانية غيبية ساطعة .. بهذه

المواقف العلمية الغيبية الربانية، والمعجزات الإلهية العظيمة، وبهذه اللقاءات الروحية، ووقفاتها التحليلية الهادئة، وبياناتها القرآنية الصادقة، جمعها البارى عز وجل في قصة النبي كلیم الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر عليه السلام حيث قال تعالى: "فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّن لَّدُنَّا عِلْمًا" (الكهف / ٦٥).

وفي الحقيقة إن موسى عليه السلام مولع بالعلم ويتباهى به، ويسعى نحو المزيد منه، ودعاؤه دوماً "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه / ١١٤). وتقول الروايات عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله .. قال تعالى: "وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ" (إبراهيم / ٥)، فخطب قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة، وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم، وأن الله استخلفهم في الأرض، وقال كلم الله نبيكم تكليماً، واصطفاني لنفسه، وأنزل عليّ محبةً منه، وآتاكم الله من كل ما سألتموه، ففيكم أفضل أهل الأرض، وأنتم تقرأون التوراة، فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا وعرفهم إياها، فقال رجل من بني إسرائيل: هم كذلك يا نبي الله، قد عرفنا الذي تقول، فهل على الأرض رجل أعلم منك يا نبي الله؟ قال: لا. فبعث الله جبرائيل عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع علمي؟ .. بلى إن لي على شط البحر رجلاً هو أعلم منك، قال ابن عباس: هو الخضر عليه السلام، فسأل موسى ربه أن يريه إياه، فأوحى أن أنت البحر، فإنك تجد على شط البحر حوتاً فخذ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شاطئ البحر، فإذا نسيت الحوت وهرب منك، ثم تجد "العبد الصالح" الذي تطلب. فهبى موسى عليه السلام سفره مع فتاه (يشوع بن نون) حيث قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" (الكهف / ٦٠-٦١).

أخذ موسى عليه السلام وفتاه التعب والجوع، فأراد موسى أن يأكل السمك، وطلب من فتاه تحضيره، كما قال تعالى: "فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا" (الكهف / ٦٢). وهنا قال الفتى لموسى إن السمك قد أخذ طريقه إلى البحر سرباً، وفرح موسى بما بمقالة فتاه، حيث قال تعالى: "قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُوِينَا إِلَى

الصَّخْرَةَ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي
الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (الكهف / ٦٣ -
٦٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: فظهر موسى على الصخرة حتى إذا انتهيا إليها، فإذا رجل
متلفف في كساء له، فسلم موسى عليه، فرد السلام، وقال له: وأنى يكون السلام
بهذه الأرض، ومن أنت؟ قال: أنا موسى. قال الخضر: صاحب بني إسرائيل؟
قال: نعم. فرحب به، وقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك على أن تعلمن مما علمت
رشدًا.. قال تعالى: "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"
(الكهف / ٦٦) .. قال الخضر عليه السلام: إنك لن تستطيع معي صبراً، ولا تطيق ذلك
.. قال تعالى: "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
خُبْرًا" (الكهف / ٦٧-٦٨). قال موسى عليه السلام: ستجدني إن شاء الله صابراً.. قال
تعالى: "قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف / ٦٩).

مما سبق تتضح طريقة استئذان النبي موسى عليه السلام من الخضر عليه السلام بلطف وأدب
في التحدث معه، كما ظهر في قوله تعالى: "هَلْ أَتَّبِعُكَ" أي أصحبك وأرفقك..
وهذا السؤال يحمل معنى التلطف البعيد عن الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن
يكون سؤال واستئذان المتعلم من العالم في كل مكان وفي أي زمان.

إلا أن العبد الصالح الخضر عليه السلام كان يعرف أن النبي موسى عليه السلام لا يستطيع
مرافقته، وأخذ علم الغيب منه، لأنه سوف لن يحتمل الصبر على ما سيراه من
أفعال تخالف شريعة موسى، لأنه على علم من علم الله، وما علمه الله تعالى، ولذا
قال لموسى: يا موسى أنت على علم من علم الله ما علمنيه، فكل مكلف بأمر من
الله دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي^١. فقبل موسى عليه السلام ذلك وقام
بمصاحبة العبد الصالح الخضر عليه السلام، ليرى علمه الغيبي الذي وهبه الله له.

أعود ثانيةً إلى قدسية قصة موسى عليه السلام وتفصيلاتها مع معلمه العالم بعلم الغيب..
الخضر عليه السلام، حيث فصل القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَأَ

^١ ابن كثير، تفسير ابن كثير لسورة الكهف.

أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" (الكهف / ٦٠) .. وحتى قوله تعالى: "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف / ٨٢).

وتفصيلاً لهذه الآيات، وإفادة من الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه، وفي باب ما يستحب للعلم الذي ورد فيه: إذ سئل موسى أي الناس أعلم ؟ فقال: أنا، وهنا جاء عتاب الله تعالى لموسى، فأرشده إلى عبده الصالح الخضر عليه السلام كما ورد في الحديث النبوي الطويل .. حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال: أخبرني سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوحا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: "قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به ؟ فقيل له: احمل حوتاً في مكث، فإذا فقدته فهو ثم. فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحمل حوتاً في مكث حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسل الحوت من المكث فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما فلما أصبح قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى مسا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، فقال له فتاه: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام ؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه، قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور

في البحر فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول أو أجر عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟! قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، قال: لا تؤاخذني بما نسيت فكانت الأولى من موسى نسياناً، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. قال بن عيينة: وهذا أوكد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال: الخضر بيده فأقامه، فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً، قال: هذا فراق بيني وبينك. قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما" (رواه البخاري).

أجل .. بعد الحوار الهادئ والاتفاق المقبول بين التلميذ المطيع .. موسى عليه السلام، ومعلمه الناصح العبد الصالح .. الخضر عليه السلام خرجا معاً على شاطئ البحر، فمرا بسفينة راسية، فأرادا أن يركباها، وهما في صحبة روحية ليتلقى موسى من معلمه عليه السلام العلم الرباني الموهوب له. وعندما عرف أهل السفينة الخضر عليه السلام - وكانوا يحبونه ويعرفونه بالعبد الصالح في منطقتهم - أركبوها بغير أجر، وبغير نول ولا عطاء، وهذا دليل على أن القوم يعرفون الخضر عليه السلام، وبأنه صاحب فضل وعلم. فلما أصبحا في السفينة، أخذ يحرك الخضر عليه السلام لوحاً من ألواح السفينة، فخرق ذلك اللوح وكسره وأزاله عن مكانه وجعله في موضع آخر ليكون عيباً ظاهراً في السفينة. عندما رأى موسى عليه السلام هذا الموقف من الخضر .. تعجب كثيراً، وقال إن هؤلاء القوم حملونا بغير أجر، وأكرمونا بالاستقبال الطيب، وأنت عمدت إلى تخريب سفينتهم فأفسدتها، وجعلت فيها هذا الخرق، كما قال الله تعالى: "حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا" (الكهف / ٧١).

وفي فهم وعلم موسى، فإن تصرف الخضر يعد ظلاماً وأمراً غريباً .. فكيف يجوز له أن يخرب السفينة، ومن ثم التسبب بخسارة أهلها الذين يعيشون من ورائها؟! وهنا لم ينتظر موسى عليه السلام، ولم يفكر في الأمر، رغم ثقته بصلاح العبد الصالح،

ومعرفته التامة بسلامته سلوكه، و غزارة علمه، وإيمانه القويم .. فقال: ماذا فعلت أيها العبد الصالح؟ ونسي بأنه قد اتفق معه بأن لا يعترض على أي تصرف يقوم به، ولا يسأله عن شيء، وهنا قال له الخضر عليه السلام أما تذكر أنني قلت لك بأنك لن تستطيع معي صبراً ..! قال تعالى: "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" (الكهف / ٧٢). فهذا تسرع منك يا موسى، وهذا أمرك، وهذا من عجبك وإنكارك لشيء لا تعرفه، وتفسيرك بعلمك المحدود، وبمنطقتك الطبيعي، فأنا أعرف السبب، وأنت لا تعرفه، فذكره بذلك. وهنا اعترف موسى عليه السلام بنسيانه وغفلته عن ما طلبه منه الخضر عليه السلام، فقال له: إني قد نسيت شرطك فاعف عني، كما عبر عن ذلك الباري تعالى: "قَالَ لَأَتُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَأَتُرْهِقُنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا" (الكهف / ٧٣).

وبعد هذا الرجاء والاعتذار عما بدر منه من نسيان الاتفاق، قبل الخضر عليه السلام العذر منه، إلا أنه لم يبين له أمر خرق السفينة، وأجله إلا فيما بعد. فتواصل في صحبتها وسفرهما معاً، وأثناء طريقهما وجد الخضر عليه السلام غلاماً زكياً نشيطاً وبريئاً يلعب مع أترابه، وهو في فرحة ونشوة فأخذه وقتله، حيث قال تعالى: "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِنَفْسِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" (الكهف / ٧٤). أي ما هذا الفعل المنكر .. فهذا أمر عجيب وغريب؟! كيف تقتل غلاماً لم يبلغ سن التكليف ..؟ فهذا غدر، وهو أمر منكر، ولا شك أنه منكر من حيث الظاهر، وكذلك فهو منكر في علم سيدنا موسى عليه السلام، ولكن للخضر عذره في قتله للغلام .. فلما سمع الخضر عليه السلام إنكار موسى لهذا الأمر وعدم التزامه بالعهد، ذكره بهدوء للمرة الثانية .. ألم أقل لك إنك لن تستطيع أن تصبر معي، كما قال تعالى على لسانه: "قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" (الكهف / ٧٥).

مرة ثانية خجل موسى عليه السلام من نسيانه الشرط القائم بينه وبين معلمه الخضر عليه السلام، والذي عبر عنه الله تعالى بقوله: "قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف / ٦٩). لأن العبد الصالح قد طلب منه أن لا يسأل عن أمر قبل أن يتحدث عنه ذاكراً له سببه، وسر علمه الغيبي الرباني به، كما قال تعالى: "قَالَ فَإِنِ

اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٧٠). وهنا ندم موسى وتذكر ما اتفق عليه مع الخضر عليه السلام، حيث قال تعالى على لسانه: "قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا" (الكهف / ٧٦). فقبل العبد الصالح الخضر عليه السلام اعتذار موسى، وقال له أنت معذور، فكيف تفهم وتعلم مع علمك المحدود، وعدم خبرتك .. حيث قال تعالى: "وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" (الكهف / ٦٨).

ثم انطلقا بصحبة مباركة وشوق كبير من موسى عليه السلام في أن يسمع من معلمه الخضر عليه السلام العلم الرباني الموهوب له، ثم أخذ بهما السير إلى أن وصلا قرية، وهما في غاية الجوع والتعب، فطلبا من أهلها طعاماً واستضافةً وإكراماً للضيف، إلا أن أهل القرية كانوا بخلاء فلم يستضيفوهما، وهنا يبدو أن أهل هذه القرية أيضاً غير مؤمنين ولا يعرفون بنقوى العبد الصالح، أو بنبوته أو بفضلته، وعند خروجهما من القرية وجد الخضر عليه السلام جداراً يوشك أن يسقط وينقض، فقام عليه السلام بإقامته وإصلاحه وقيل إنه دفعه بيده، وأعطاه الله تعالى القوة إلى أن تمكن من أن يقيم الجدار، وقد ذكر الله تعالى عن الخضر عليه السلام أنه أقامه قبل أن ينقض، كما قال تعالى: "فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتِطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الكهف / ٧٧). وهنا اندهش موسى عليه السلام عندما رأى الخضر عليه السلام أقام هذا الجدار بقوة وعدله وأعادته صحيحاً، فتعجب أهل القرية جميعاً، إذ أنهم منعوا عنه الضيافة، وبخلوا عليه بالطعام ومع ذلك فقد تولى عملية إصلاح جدارهم، وقدم لهم خدماته مجاناً من دون مقابل، حيث قال تعالى: "لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" (الكهف / ٧٧).

إن المفهوم العلمي عند موسى عليه السلام، أن يأخذ الخضر عليه السلام أجره على إصلاحه الجدار وإعادته إلى حالته الطبيعية، خاصةً أنهما كانا في حاجة إلى هذه الأجرة كي يشتروا لأنفسهم قوتاً لكونهم كانوا يعانون من جوع شديد وإرهاق كبير، لذلك فقد أنكر على الخضر عليه السلام إصلاح هذا الجدار من دون أجر، وأهل القرية ممتنعين عن ضيافتهما، وهنا ما تحمل الخضر عليه السلام ما سمع من النبي موسى، فقال له الآن قد صبرت عليك مراراً، وهذه آخرها، وهذا ميعاد الفراق بيني وبينك، كما

قال تعالى على لسانه: "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ" (الكهف / ٧٨). وهنا أرى من الأفضل ذكر أمنية الرسول ﷺ في موقف موسى عليه السلام مع معلمه الرباني الخضر عليه السلام، حيث قال الرسول ﷺ: "يرحم الله موسى لو ددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما" (رواه البخاري). أي مما فيه من فائدة وتفصيل في رحاب العلم الرباني الغيبي في المحاورة العلمية بين العبد الصالح في موقف المعلم، وموسى النبي كلیم الله عليه السلام طالب العلم الشغوف والراغب برغبة صادقة وعزم شديد في طلب العلم الرباني الغيبي. وهكذا فإن كل تصرفات العبد الصالح التي هي في علم موسى عليه السلام قد اتسمت بالقسوة ومخالفة لقوانين الأرض، مما أثار في نفسه الحيرة والتساؤل حول سببها. علماً بأن الخضر عليه السلام في تصرفاته وسلوكياته هذه لم يكن يفعل الأشياء عن أمره، وإنما كان يقوم بها بالاستناد إلى علمه الغيبي الذي وهبه الله تعالى إياه، وعن إرادة ربانية عليا بما فيها من حكمة خافية لا يعلمها إلا الله تعالى، والراسخون في العلم، وإنما في حقيقتها تصرف فيه رحمة طيبة ومباركة .. وهكذا يتناقض ظاهر الأمر مع باطنه، ولا يعلم موسى عليه السلام ذلك رغم علمه الكبير وهو كلیم الله، وأحد أولي العزم من الرسل، وصاحب العصا المباركة، واليد المضاعة الكريمة، والنبي الأمين الذي أنزلت عليه التوراة من دون واسطة، إذ كلمه الله تعالى تكليماً .. فيتحول هذا النبي إلى طالب علم شغوف وتلميذ متواضع يتحمل من معلمه كي يتعلم منه، وهنا يقول العبد الصالح الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: إن علمك ما هو إلا قطرة من علم العبد الصالح، ولا يعلم العبد الصالح من علم الله إلا بمقدار ما يأخذ العصفور الذي يبيل منقاره من ماء البحر .. حيث ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما من قصة موسى والخضر عليهما السلام: "فجاء عصفور فوق على طرف السفينة فنقر نقرة في البحر، فقال الخضر لموسى: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر" (رواه البخاري).

فبدأ العبد الصالح .. الخضر عليه السلام يطمئن موسى ولا يريد أن يفارقه بحزن، وإنما أخذ بهدوء يشرح ما أنكره عليه من تلك الأشياء التي استنكرها ظاهراً، كما قال

تعالى: "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف / ٧٨).

وهكذا توصل موسى إلى سبب تصرفات العبد الصالح بالشرح المدعم بالواقع المشهود، وهو الأسلوب القرآني في التعلم الفعال، لأن الشرح الاسترسالي القولي من دون رؤية الوسيلة التوضيحية لا يكون ناجعاً، أما إذا كان مدعماً بالمشاهد العملية فسيكون العلم والتعلم في حينها راسخاً ومحفوظاً في الذهن بثبات واستقرار، وإن الشرح المدعم بالنتائج الخيرة يعد بياناً صادقاً للعلم الرباني الغيبي .. وكيف لا ؟ .. وهو خالق المخلوقات والسموات والأرضين والبحار والمحيطات، وكل الأسماء الحسنى في الدنيا والآخرة، ولا انتهاء لعلمه الغزير، كما قال تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (الكهف / ١٠٩).

إن الله تعالى قد بين لنا سعة علمه التي لا تحدها حدود، حيث أنه لو أراد الإنسان كتابة كلمات الله بمداد من بحور الدنيا لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات الله، وإن ضاعفنا الأبحر والمحيطات. وفي آية أخرى بين القرآن الكريم أن الأقلام التي تكتب بها كلمات الله وعلمه الواسع، ما قدرت على تسجيل كل كلمات الله تعالى .. حيث قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (لقمان / ٧٢). ومن هنا كان طلب العلم فريضة على كل إنسان، وأن البحث عن المزيد من العلم واجب على جميع المتعلمين، لأننا مهما تعلمنا يظل العلم الرباني أعمق بكثير من علمنا، وبهذا الشأن يقول الله تعالى: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء / ٨٥).

ولذا فلا بد من السعي المتواصل، والدعاء الدائم بأن يزودنا الله عز وجل من علمه الواسع، حيث قال تعالى: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه / ١١٤).

فالتلمذة القرآنية مستمرة من المهد إلى اللحد، والسؤال عن كل علم جديد أمر ضروري في التلمذة القرآنية كما أراد الله تعالى: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (النحل / ٤٣). وأن الإنسان مهما تطور في علمه، فهناك بالتأكيد من هو أعلم منه، حيث قال تعالى: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف / ٧٦). فأهل العلم

دائماً مفضلون عند الله تعالى وعند الناس أجمعين، حيث قال تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" (الزمر / ٩). وكلما تعمقنا في تلاوة سورة الكهف، وتأملنا في آياتها، وتدبرنا قصصها، تتشرح قلوبنا ويتراءى لنا نور الله لنعيش بحق في مدرسة الرحمن، وآداب التلمذة القرآنية، والبصيرة الإيمانية.

وثانيةً نعود إلى العبد الصالح، والمعلم الناصح (الخضر عليه السلام) مع تلميذه النبي الأمين (موسى عليه السلام)، حيث أراد أن لا يصرف تلميذه مهموماً من دون أن يرى علم ربه الغيبي، ويحمد الله على ما وهبه من علم، ولا يأخذه الغرور بما عنده من علم، لكونه قال سابقاً: ليس هناك أعلم مني !

وبدأ العبد الصالح الخضر عليه السلام يكشف سر خرق السفينة، لأن السفينة كانت لمساكين يكتسبون رزقهم عن طريقها، حيث قال تعالى: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الكهف / ٧٩). والملك الظالم لا يأخذ إلا السفينة الصالحة، ولهذا فقد جعل سيدنا الخضر عليه السلام عيباً في السفينة، وخرقاً وكسراً حتى لا يأخذها الملك، ومن ثم يتركها لهم، وهكذا تبقى السفينة صالحة لاستخدام أصحابها الأصليين بعد أن يقوموا بإصلاحها، وذلك أفضل من أن يغتصبها الملك الجائر، وينحرموا منها بشكل نهائي، وتصبح عندهم حينها خسارة كبيرة .. وهذا ما قضت به إرادة الله تعالى وحكمته العظيمة في علمه الغيبي الذي وهبه بعضاً منه إلى عبده الصالح الخضر عليه السلام.

أما قصة الغلام الباسم الوديع الذي لم يبلغ الرشد بعد (سن التكليف)، فقد طبعه الله في يوم خلقه بأن يكون كافراً، وقد أطلع الله تعالى سيدنا الخضر عليه السلام على طغيان وكفر الغلام عندما يكون بالغاً وراشداً، مما قد يؤدي في حينه إلى إرهاب والديه المؤمنين، حيث قال تعالى: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" (الكهف / ٨٠). وهكذا سلم الوالدين من كفر ولدهما وطغيانه، ونالا رحمة ربهما من الذرية الصالحة الطيبة تعويضاً عما حدث، وينال الغلام عفو ربه

لأنه مات وهو لم يبلغ الحلم بعد، ولم يصل إلى سن التكليف .. وفي ذلك حكمة ربانية جليلة، وإخبار غيبي على يد العبد الصالح الخضر عليه السلام.
أما القصة الثالثة، فهي قصة قيام الخضر عليه السلام بإصلاح الحائط وإقامته لأن تحت الجدار الأيل للسقوط كنز لطفلين يتيمين ضعيفين ليس في قدرتهما إصلاح الحائط، وأن أباهما كان صالحاً، قام بوضع كنز ولديه تحت هذا الحائط، فكان الخضر عليه السلام سبباً في المحافظة على الكنز من السرقة عن طريق إصلاح الجدار، كما قال تعالى: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ" (الكهف / ٨٢).

وبلطف وهدوء قال العبد الصالح الخضر عليه السلام: يا موسى .. تواضع في أخذ العلم فإنه هبة ربانية، وبخاصة علمه الغيبي، وأن ما شاهدته إنما هو إرهاصات من علم ربك العليم الحكيم، وهو علام الغيوب، وإن كل ما فعلته إنما هو من أمر ربي ووحى منه، كما قال تعالى لسان الخضر عليه السلام: "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف / ٨٢).

وهنا قال موسى عليه السلام: يا أيها العبد الصالح .. انصحنى بما عندك من خبرة وقرباً إلى الله تعالى ؟ وذلك لأن علم موسى عليه السلام يعد علماً محدوداً، ولا يمكن أن يقاس بعلم الله الواسع، وإن كثيراً من المصائب التي تقع على الأرض تخفي وراء رداؤها الأسود الكئيب رحمة الله العظمى، وإرادته الحقّة في علمه الغيبي الذي خصّه الله تعالى بنفسه، ووهبه لبعض عباده الصالحين. وهكذا أراد أن يعلم العبد الرباني الخضر عليه السلام، النبي موسى عليه السلام بأن هناك علماً غيبياً ربانياً خاصاً بالله تعالى، وعلماً ظاهراً شرعياً يتعلمه كل طالب علم من المهد إلى اللحد، وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما أخذ بيد كميل بن زياد النخعي، وقال له: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل الحياة، وهمج رعا ع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صالح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق". وقال ابن حجر (رحمه الله تعالى) في أول شرحه لكتاب العلم من صحيح

البخاري: "والمراد بالعلم .. العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص"¹.

¹فتح الباري، ١ / ١٤١.

الفصل الخامس

آداب التلمذة القرآنية المستوحاة من صحبة موسى عليه السلام
للمعلم الصالح الخضر عليه السلام:

الفصل الخامس

آداب التلمذة القرآنية المستوحاة من صحبة موسى عليه السلام

للمعلم الصالح الخضر عليه السلام:

استلهاماً من أسباب اللقاء بين موسى عليه السلام والعبد الصالح الخضر عليه السلام، واستخلاصاً من المحاوراة القرآنية التي جرت فيما بينهما، وتحقيقاً لأهداف هذه القصة القرآنية المتميزة، واستفادةً من علم الله الغيبي لأنبياؤه وأوليائه المتقين الصالحين، نذكر فيما يلي بعض آداب التلمذة القرآنية في مدرسته الرحمانية:

١. الحوار عند تلقي العلم أمر جميل، وأسلوب قرآني مفيد، وتجاوب عطوف بين المتعلم والمعلم مما يجعل العلم راسخاً في العقل، ونوراً في القلب، وعذوبةً في اللسان، ورقةً على السمع .. كل أولئك عنه مسؤولاً، كما في قوله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الإسراء / ٣٦). ودعوةً إلى تبادل الآراء، ومنعاً من التقليد الأعمى، كما قال الرسول ﷺ: "لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن اساءوا فلا تظلموا" (رواه الترمذي).

٢. طالب العلم .. تلميذ ولوع يبحث عن الحقيقة والعلم النافع من أستاذ عالم زاهد، وشيخ جليل. ولذا على طالب العلم أن يسعى جاهداً في الوصول إليه والتواضع بين يديه، ليأخذ العلم من منبعه الصافي، في سلوك تربوي يتسم بالوقار والاحترام والتقدير لأستاذه الذي يعلمه، كما يقول الشاعر أحمد شوقي:

قَمِّ لِلْمُعَلِّمِ وَفَهِّ التَّبْجِيلَا كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا

٣. إلحاح المتعلم في طلب العلم، والاستمرار في أخذه والبحث عنه، ومصاحبة المعلم .. أمر رباني مفروض على كل متعلم تحقيقاً لقول الله تعالى: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء / ٨٥)، ولسنة رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (رواه ابن ماجة). وقال الشاعر:

- فخالط رواة العلم واصحاب خيارهم فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
٤. مصاحبة طالب العلم للعلماء والمفكرين ومجالستهم وصحبتهم .. فضيلة في إذكاء قدرته التعليمية التعليمية، وخبراته العلمية، وإدراكه الصواب في الحقيقة، والخطأ في التعليل، لأن الله تعالى يقول: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف / ٧٦). وقال الرسول ﷺ: " لا يقعد قوم يذكرهم الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده" (رواه مسلم).
٥. حب التلميذ للعلم والرغبة المستمرة للاستزادة منه، مما يفتح أمامه أبواب التعلم الذاتي والاستبصار التعليمي، حيث أن طالب العلم ينبغي أن يكون مبدعاً ومبتكراً ومستكشفاً بعلمه، وراغباً فيه ومكتشفاً بنفسه في تعلم استكشافي متواصل، واستبصاري ذكي. كما يقول الإمام الغزالي: "اعمل بما تعلم ينكشف لك ما لم تعلم".
٦. الاعتراف بالخطأ والسعي للوصول إلى الصواب في الحقائق العلمية، زيادة في مرتبة التعلم وفضيلة سامية، وتواضع علمي مرغوب، كما قال الرسول ﷺ: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" (رواه ابن ماجة).
٧. طالب العلم شغوف بالتعلم، ومجبول في أن يسأل معلمه دائماً بما يوصله إلى الرشد والزيادة في العلم النافع، حيث قال تعالى: "قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا" (الكهف / ٦٦). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ: "تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة".
٨. من آداب التلمذة القرآنية .. التلطف في طلب العلم، والوقار في الحوار، والحب في المتابعة، والتواضع للمعلم، وإظهار المودة والتقدير له بما علمه، كما قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: "قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف / ٦٩).

٩. طالب العلم يجب أن يكون ورعاً وصاحب دين وتقوى، ويسعى جاهداً في طلب العلم النافع .. للدنيا والآخرة، كما قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" (البقرة / ٢٨٢).

١٠. ينبغي لطالب العلم أن يصاحب صديقاً وفاقاً، بأخوة صادقة، ومحبة ودودة، وحوار دائم وبناء فيما يتعلموه من بعضهم، وسؤال مستمر فيما يجهلون، حيث قال الرسول ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" (رواه مسلم).

١١. يجب على طالب العلم التريث عند سماع أو مشاهدة أي موقف غير مقبول، وعليه أن لا يتسرع في الرد أو الإجابة إلا بعد تفكير وتأمل، عسى أن يصل إلى الحقيقة المخفية، كما قال تعالى على لسان العبد الرباني الخضر عليه السلام: "قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٧٠).

١٢. تحمل المشقة في طلب العلم، والخروج في طلبه، كما وجدنا ذهاب سيدنا موسى عليه السلام في البر والبحر إلى أن وصل إلى العبد الصالح (الخضر عليه السلام)، حيث قال تعالى على لسان موسى عليه السلام وهو في صدد طلب العلم والوصول إلى معلمه: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لِمَا أَبْرَئُكَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا" (الكهف / ٦٠).

١٣. طالب العلم يجب أن يكون مؤمناً بسعة علم الله تعالى ولا يأخذه الغرور بما عنده من علم مهما بلغ من الشهرة، كما قال الخضر عليه السلام: "إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه". أما العلم الرباني الغيبي في خص الله به نفسه عز وجل، كما قال تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (الأنعام / ٥٩).

١٤. مصاحبة العالم الكبير للتلميذ الصغير، تعد ذات فائدة لكليهما. لأن الأول وهو الأستاذ يشرف على تربية التلميذ، ويتولى إرشاده، ويعلمه الحياة،

ويصوب أخطاءه، ويسدد أفعاله. والثاني وهو طالب العلم يقوم بخدمة أستاذه، ويعينه على قضاء حوائجه. وقد أفصح موسى عليه السلام في تربية الفتى (يوشع بن نون عليه السلام) إذ بعثه الله نبياً، فقاد مسيرة المؤمنين، وحمل لواء الدعوة من بعد أستاذه، نبياً كريماً، ومجاهداً فاتحاً، وناشراً لرسالة الله تعالى في إصلاح العباد وتقويم حياتهم.

١٥. على طالب العلم أن يكون تابعاً لأستاذه، حيث قال سيدنا موسى عليه السلام للخضر عليه السلام: "هل اتبعك؟" .. فالطالب تابع لأستاذه، مسلم إليه القيادة، وهذا أدعى إلى التناغم بينهما، حيث أن هذه التبعية ترفع مكانة المتعلم.

١٦. ينبغي لطالب العلم أن يسمع وصية معلمه بحب ومودة، كما طلب موسى عليه السلام من معلمه الخضر عليه السلام بأن يوصيه. قال: كن بساماً ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطئين خطاياهم، وابك على خطيئتك، يبسر الله عليك طاعته.

١٧. على طالب العلم أن يكون ملتزماً بتنفيذ أوامر أستاذه، كي يبقى محافظاً على صحبته، إذ لاحظنا أن سيدنا الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام: "فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٧٠). وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام وعد معلمه بالالتزام بأمره هذا، كما قال تعالى على لسان موسى: "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا" (الكهف / ٦٩)، إلا أن موسى عليه السلام كان صبره قليلاً، ولم يلتزم بما أمره معلمه، فكان عدم الالتزام هذا والناج عن قلة الصبر سبباً في حدوث الفراق بين موسى والخضر عليهما السلام .. وبهذا الشأن يقول الله تعالى على لسان سيدنا الخضر عليه السلام: "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف / ٧٨).

١٨. طالب العلم تلميذ في محراب التعلم، أمين في تعلمه، ومنتشوق إلى ما يدرسه، وحريص على تطبيق ما يتعلمه، فالعلم أمانة في عنقه، إرضاءً لربه تعالى الذي علمه بالقلم .. علمه ما لم يعلم، وساع إلى إعمار الأرض بال عمران والبناء، وداع إلى الله بالفضائل والحكمة والموعظة الحسنة،

ويحرص دائماً على ترجمة أقواله إلى تطبيقات عملية وأفعال سلوكية، عملاً، بقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (الصف / ٢-٣).

١٩. طالب العلم تلميذ مع أستاذه، ومعلم للآخرين فيما تعلم وما اكتسب من خبرة، عملاً بالقول المأثور للمدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي: "تَعَلَّمْ لَتَعْمَلْ .. وَاعْمَلْ لَتُعَلِّمَ".

٢٠. يسعى طالب العلم دائماً لأن يكون مع أهل العلم، تشجيعاً لنفسه، ومباركةً للآخرين. ويحرص على التزام الأمانة في نقل ما يقرأه، والإخلاص فيما يسمعه، معترفاً بإفادته ممن سبقوه من العلماء والفضلاء، مجلاً لأهل العلم، مقدراً لهم ومتأديباً معهم، مقتبساً من نورهم. ويقول الله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (الزمر / ٩). وقيل .. من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد.

٢١. على طالب العلم أن يخشى الله في علمه، ويتضرع لله تعالى في المزيد منه، ويسعى في أن يكون مع العلماء الصادقين .. قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر / ٢٨). وآخر دعوى طالب العلم، أن يعترف بأنه قد أخذ علمه عن العلماء، وبهم بلغ دين الله تعالى، وأن يتضرع إلى المولى عز وجل في كل حين بأن يرحم من مات منهم، ويحفظ من هم على قيد الحياة، ويبارك الله تعالى فيهم، وفي علمهم وجهودهم، ويجزيهم عنه وعن جميع المسلمين أفضل الجزاء وأوفاه في الدنيا والآخرة، وأن يجمعهم الرحمن الرحيم في جنات النعيم مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين .. قال تعالى: "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" (النساء / ٦٩).

آداب وسمات المعلم الرباني:

يتصف المعلم الرباني بالعديد من السمات والخصائص، نوضحها فيما يأتي:

١. إن المعلم الرباني في سلوكه مع تلميذه يشعر بأنه عبد من عباد الله تعالى، حيث أن العبودية لله تعد من أعلى مراتب الإنسانية، والصلة الروحية بالمولى عز وجل، وأن صلة العبد بربه تعالى هي سر سموه، وانسراح قلبه بحيث تكون مفتاحاً لمغاليق مجالات العلم الجديدة له .. كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ في أولى آيات الوحي: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق / ١-٥).

٢. المعلم العطوف مع تلاميذه قد ينال رحمة ربه، ونعمته العظيمة بشرف التعليم، فعليه أن يعكف على تعليمهم بأخلاق رفيعة، ورفق أبوي، ويتحجب إليهم ليتأسوا به، ويحبوه، ويأخذوا عنه علمهم.

٣. المعلم المخلص هو الذي يرى في تلاميذه علماء المستقبل، لذلك ينبغي أن يكون قدوةً صالحاً لهم، ومشجعاً لهم في طلب العلم النافع، والعمل به، والاستزادة منه. ولذا يجب عليه أن يكون لتلاميذه أبا رؤوفاً وصاحباً وفاقاً، وناصحاً أميناً في مجال الإرشاد والتوجيه، مريداً للخير لهم جميعاً، يفرح لفرحهم، ويحزن ويتألم عندما يحزنون، ويتباهى بعلمهم، ويبارك تقدمهم، ويصحح أخطاءهم بأسلوب هادئ.

٤. المعلم الراشد دائم الشكر لله تعالى على ما أنعم عليه من الرشاد والهدى والسداد. وإنه من شكر النعم أن يعلم تلاميذه بما أكرمه الله تعالى، فترتفع منزلته وترقى عند ربه تعالى، ويزيده علماً، وقد يمنحه الإلهام الروحي، والقبسات الغيبية، والكرامات الربانية.

٥. أدب الأستاذ مع ربه تعالى ينعكس على تلاميذه في سلوكهم .. كما وجدنا العبد الصالح الخضر عليه السلام أنه قد نسب إلى نفسه عيب السفينة .. قال تعالى: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" (الكهف / ٧٩). في حين أنه

عندما برر قتل الغلام نجد أن الخضر عليه السلام استخدم عبارة : أردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه، ولما كانت الإرادة خيراً، فقد نسب الفعل إلى الله عز وجل ولنفسه .. قال تعالى: "وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" (الكهف / ٨٠-٨١). وعندما تحدث عن بناء الجدار، نجد أن الخضر عليه السلام نسب إرادة الفعل إلى الله عز وجل فقط لأن أثر الفعل يعد أثراً غيبياً مستقبلياً، ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل .. قال تعالى: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ" (الكهف / ٨٢). وفي الختام يقوم الخضر عليه السلام بنفي إرادته بالكامل عن الأعمال الثلاث التي أقدم عليها، معلقاً الأمر برمته على علم الله عز وجل الواسع، وإرادته الحكيمة .. قال تعالى: "وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف / ٨٢).

٦. إن ما ذكره الله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح عليه السلام ليرينا كيف أصبح الخضر عليه السلام معلماً لسيدنا موسى عليه السلام، وأستاذاً وناصحاً له لفترة من الزمن، ولمواقف تعليمية مشهودة بإرادة من الله تعالى وحكمته في علمه الغيبي، حيث قال تعالى: "عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا" (الجن / ٢٦ - ٢٧).

٧. المعلم الماهر لا ينتهج أسلوب التلقين والتقليد في تعليم تلاميذه، ويبتعد عن التردد غير الواعي، بل يغرس في نفوسهم دافع التعلم، والتعلم الذاتي، بعد أن يهيئ لهم الأسباب والوسائل البيئية والتعليمية المحفزة التي تقود إلى التعلم الذاتي، وذلك باستخدام المتعلم لقدراته العقلية من تذكر وانتباه وإدراك وحفظ، في ترابط ذهني قوي مع تدريبهم على استخدام إمكاناتهم الاستبصارية والاستكشافية، وتأملاتهم الإلهامية .. كما وجدنا عند ذي القرنين، كيف أن الله تعالى على الرغم من أنه آتاه من كل شيء سبباً، إلا

أنه كان حريصاً أيضاً على التتبع الذاتي والمستمر للأسباب .. قال تعالى: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" (الكهف / ٨٤). وقال عز وجل في ثلاثة مواضع أخرى: "فَاتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٨٥)، "ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٨٩)، "ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٩٢). كما قال تعالى في الابتكار والإبداع: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً" (الإسراء / ٣٦).

٨. المعلم الراشد هو الذي يدرّب تلميذه باستمرار على استعمال السمع والبصر والفؤاد في جميع نشاطات التعلم. فعلم النفس المعاصر يؤكد على أن التعلم الفعال هو الذي يتسم بالثبات النسبي في اكتساب العلوم، ولا يحدث ذلك إلا عن نشاط ذاتي يقوم به المتعلم بنفسه، ولا يحدث إلا بالملاحظة والممارسة والتدريب، فلا تعلم من دون دافع ورغبة ذاتية. وهكذا فدور المعلم هو الإرشاد والتوجيه، ومتابعة التدريب لتلميذه، وهو في تعلمه الذاتي.

الفصل السادس
قصة ذي القرنين .. الملك الحكيم والطوّاف العادل

الفصل السادس

قصة ذي القرنين .. الملك الحكيم والطواف العادل

سورة الكهف بنفحاتها الربانية، وآياتها النورانية، وبقصصها الحكيمة، وعبرها الناصحة الأمينة، قد تميزت في القرآن الكريم مبتدئةً بالحمد الإلهي الكريم، تعظيماً لجلال عظمته تعالى في ضرب الأمثال، وسرد القصص المعبرة. ومبيناً للقوة الإيمانية المباركة، ومرسحاً للعقيدة القلبية السامية، ومثبتاً للنصيحة الإنسانية الرشيدة، وإظهاراً للشجاعة البدنية القوية، وإبرازاً للعلم الرباني الموهوب لبني آدم، وتواصلًا مع هذه المعاني الربانية الجليلة، وتعزيزاً لدعوته الإيمانية الحكيمة .. جاءت القصص القرآنية في سورة الكهف، إذ جاءت القصة الأولى في أوج قوة الفتية الذين آمنوا بربهم، وأحبوا الله تعالى فأحبهم الله تعالى، وزادهم إيماناً، وهم على ربهم يتوكلون، ولمليكمهم المشرك الجائر مقاطعون ورافضون شركه وجبروته .. فنالوا معجزة الرحمن في رقودهم قروناً عديدة، ليكونوا بحق ذكرى لكرامتهم إلى يوم الدين .. قال تعالى: "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (الكهف / ١٣).

أما القصة الثانية .. فقد عبرت عن الصراع بين الرجل الصالح القانع من جهة، وصاحب الجنتين من جهة أخرى، بما في الجنتين من أشجار وثمار وزروع وأنهار. لقد ظل الرجل الصالح الفقير وفيماً صادقاً بتقديم النصيح والإرشاد لصاحب الجنتين الجاحد لنعم الله تعالى، عسى ولعله يعود إلى الصواب، ولكن غرور صاحب الجنتين، وعدم الحمد والشكر لله الذي وهبه هذه الخيرات والنعم، أدت إلى الضياع والخسران المبين في الدنيا والآخرة .. قال تعالى: "وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" (الكهف / ٣٩).

بعد ذلك جاءت القصة الثالثة بمثابة تاج على القصص السابقة، وذلك من خلال اللقاء الروحي السامي بين موسى النبي ﷺ وكليم الله، والعبد الصالح الخضر عليه السلام، في رحاب العلم الرباني الغيبي، والتلمذة القرآنية المتميزة، في المدرسة الربانية الفريدة، وذلك بتلمس علم الله الغيبي العظيم في مواقف تعليمية مشهودة .. قال

تعالى: "قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف / ٧٨).

بعد هذه القصص الثلاث الراقية في طرحها وفي المعاني التي اشتملت عليها .. تأتي قصة ذي القرنين بسؤال أصحاب رسول الله ﷺ عن ذي القرنين الذي شاع خبره في الدنيا، فجاءت بركة الله تعالى في ذكره من خلال قرآن يتلى إلى قيام الساعة. إذ يقول الباري في محكم التنزيل: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعِ سَبَبًا" (الكهف / ٨٣-٨٥).

جاء ذكر ذي القرنين .. الملك الصالح بأية ربانية، تعزيزاً لمكانته، ولسعة علمه الموهوبة له من لدن حكيم عليم، وإظهاراً لقوته البدنية التي مكنته من طواف العالم بشرقه وغربه، وإبرازاً لقدرته العقلية في الهندسة والعمارة والبناء، ودعوته الربانية في الإرشاد والإصلاح، وسلطانه على العالم بالعدل، وإنفاذه للعباد من القوم الفاسدين (قوم يأجوج ومأجوج)، بما مكّنه الله تعالى للقيام بطواف حول العالم وبمسيرة الجهاد والبناء، بإتباعه بما أمره الله، وأتاه من كل شيء سبباً، فأتبع سبباً .. أتبع سبب الطريق السليم، والوسيلة الذكية.

الله ﷻ .. هو صاحب الفضل العظيم على ذي القرنين، بتمكينه من الطواف حول العالم، وبحكمته الواسعة، وقدرته العظيمة، مكّنه الله تعالى من أسباب السلطان، والحكم الرباني، والعلم الدنيوي، والبراعة في الفتح والبناء والعمارة في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك بإتباعه طريق الحق، والدعوة إلى الإصلاح، مع أتباعه المخلصين أينما حلّ وحلّ بهم، فكان مؤمناً بالله تعالى، حامداً لما وهبه الله تعالى من سلطان، شاكراً فضله عز وجل. ولقد ورد في الروايات بأن الذين ملكوا الدنيا هم أربعة .. مؤمنان وكافران. أما المؤمنان فهما سليمان النبي ﷺ، والملك ذو القرنين. وأما الكافران فهما نبوخذنصر والنمرود¹.

وقد ذكر أيضاً أنه من الملوك الآخرين، فعن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن عبد الله الوداعي، قال: سمعت معاوية يقول: ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود

¹ محمد علي الصابوني، في التفسير الواضح الميسر، الطبعة الرابعة، طبعة بنك دبي الإسلامي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص: ٧٣٧.

(عليهما السلام)، وذو القرنين، ورجل من أهل حلوان، ورجل آخر، ف قيل له: الخضر؟ قال: لا. وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن محمد بن الضحّاك، عن أبيه، عن سفيان الثوري، قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة، مؤمنان وكافران: سليمان النبي وذو القرنين ونمرود ونبوخذنصر¹.
حقاً إن ذا القرنين عبد من عباد الله الصالحين، طاف العالم بمشاركه ومغاريبه، وتحدى ظلم يأجوج ومأجوج ببنائه الردم المشهور، والسد المنيع بين الجبلين الذي كان منفذاً لهؤلاء القوم الفاسدين والمفسدين في إيذاء الناس، كما جاء في النص القرآني: "قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا" (الكهف / ٩٥).

إن ذا القرنين ملك مؤمن بالله الواحد القهار منذ كان شاباً في بيت فرعون. فهو حاكم عادل، له منهج أصيل صالح في التعامل مع الناس، وفي تمشية وتسير أمور الخلق وشؤونهم، وفي إنجاز المهمات، ونشر العدل، ورفع الظلم عن كاهل العباد. وقد ذكر السيوطي في كتابه الموسوم "قرآن كريم: تفسير وبيان أسباب النزول"، أن ذا القرنين ملك عادل أُعطي العلم والحكمة، وأنه صالح من أهل مصر اسمه (مرزيان بن مرزبه) من ولد (يونان بن يافث بن نوح)².

وقد ذكر بعضهم أنهم من الملائكة، وقد استدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعى ذا القرنين، فقال: تسميتهم بأسماء الملائكة أو تجاوزتهم أسماء الأنبياء، ولكن المشهور أن ذا القرنين من البشر وأنه إنسان بشر، سمعنا أنه كان له قرنان يعني من شعر رأسه قد جعله جديلتين كالقرنين فسمى ذلك في صغره، أنه كان يسمى الإسكندر أو اسكندر قول مشهور³.

وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول سورة الكهف، فقال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة، فقالوا

¹ محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح .. دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص: ١٦-١٨.

² السيوطي، قرآن كريم: تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي، إعداد محمد حسين الحمصي، دار الرشيد، دمشق - بيروت، ص: ٣٠١-٣٠٢.

³ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين في موقعه على شبكة الإنترنت (www.ibn-jebreen.com).

لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا له صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء .. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره، وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبه حتى قدما على قريش، فقالوا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا .. فسألوه عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم غدا عما سألتكم عنه ولم يستثن (يعني لم يقل إلا أن يشاء الله)، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا فيها ولا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه، حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معانيبه إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٨٣) إلى آخر الآيات.

يقول الإمام الغزالي: فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه، كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين، إذ قال الله: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ" (الكهف / ٨٤). فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله إياه في جزء من الأرض، والأرض كلها مدورة، بالإضافة إلى أجسام العالم، وجميع الولايات التي يحضى بها الناس من الأرض غيرة من تلك المدورة، ثم تلك العبرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه^١.

^١ الغزالي، إحياء علوم الدين، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ص: ٣٠٥.

ويقول أبو الريحان البيروني المنجم في كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) .. إن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم، كان من حمير مستدلاً باسمه. فملوك حمير كانوا يلقبون بذي، كذي نواس وذي يزن، وكان اسمه أبو بكر بن أفريقش، وأنه رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط فمرّ بتونس ومراكش وبنى مدينة إفريقية فسميت القارة كلها باسمه، وسمي ذا القرنين لأنه بلغ قرني الشمس¹. وربما يكون هذا القول صحيحاً، إلا أننا لا نجد الأدلة القاطعة على صحته، وأغلب الروايات التاريخية أو التفاسير تتصوي تحت مظلة الإسرائيليات، وهي مزيدة على الأصل الموحى من الله تعالى، فلم تعد التوراة مستيقناً بها في مجال القصص التاريخي.

وفي الحقيقة أن ذكر الأخبار التي تتعلق بذي القرنين، لا شك أن غالبها من الإسرائيليات التي تنقل عن كتب الأولين والتفاسير القديمة، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، كما ثبت أن النبي ﷺ قال: "إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وإلينا واحد ونحن له مسلمون"².

ولذا فلا يبقى أمامنا إلا ما ورد في آيات القرآن الكريم في سورة الكهف، فهو الذي حفظ عن التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .. فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد الصحيح لما ورد فيه من القصص التاريخي. ولحكمة ربانية جليلة جاءت معظم القصص موجزة، وليس فيها التفصيل لشخصياتها، لتكون موضع الاجتهاد والبحث والتفكير والتحري.

وقبل الدخول إلى شرح أخبار ذي القرنين، وأعماله وطوافه العالم بشرقه وغربه، والمذكور في القرآن الكريم، وبما مكنه الباري عز وجل من قوة وإيمان وصلاح لنشر دعوة الله تعالى في الأرض، وتقديم الخدمات للناس المحتاجين، وإنقاذهم من المفسدين، أمثال (يأجوج ومأجوج)، فقد وفقني الله بأن أحصل على كتاب علمي رصين يبحث في أسرار ذي القرنين، وهذا الكتاب هو:

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، الأجزاء ١٢-١٨، دار الشروق، ص: ٢٢٨٨-٢٢٨٩.

² عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، في موقعه على شبكة الإنترنت، مصدر سابق.

"فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج .. أصلهم - زمانهم - وأوطانهم"
للمؤلف القدير السيد: حمدي بن حمزة أبو زيد .. عضو مجلس الشورى في
المملكة العربية السعودية، حيث بذل المؤلف جهوداً علمية وموضوعية في سبيل
الوصول إلى مراجع كثيرة عربية وأجنبية وفرنسية، وقام بزيارات ميدانية، وقدم
صوراً وخرائط جغرافية إلى أن وصل إلى مبتغاه في بيان ذي القرنين .. بياناً لم
يسبقه إليه أحد من الباحثين.

ونظراً لأهمية الموضوع فسنقوم بمتابعة ملخص الكتاب المشار إليه آنفاً، وذلك من
خلال النقاط الآتية¹:

١. إن ذا القرنين عبد من عباد الله، طاف مشارق الأرض ومغاربها، وواجه
يأجوج ومأجوج، وبنى ردماً (سداً) متيناً بين الجبلين، وأنه من مصر، وأنه
(أختانون) الملك الفرعوني، وزوجته (نفرتيتي)، وأنه ابن فرعون موسى،
وأنه الرجل المؤمن الذي دافع عن موسى عليه السلام، كما ورد في القرآن الكريم
في سورة غافر: " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (فاغر / ٢٨).

٢. إن ذا القرنين مؤمن بالله الواحد القهار وفقاً للنص القرآني، وكان له منهجاً
في التعامل مع الناس، والأعمال فرضية نبوته.

٣. إن موسى عليه السلام وأختانون (ذي القرنين) عاشا في قصر فرعون، وتكونت
بينهما صداقة عميقة، وتأثر أختانون كثيراً بموسى النبي عليه السلام، مما قوى
دوره في مستقبل حياته وهو يطوف العالم.

٤. من خلال الدراسات التاريخية الكثيرة والدقيقة للتاريخ المصري، لم تشر
كل تلك الدراسات إلى شخصية فرعون، والمؤمن بالإله الواحد غير
(أختانون).

¹ ملخص كتاب فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج للمؤلف حمدي بن حمزة أبو زيد .. ينظر:
<http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?t=2686>

٥. وجود التطابق في أسلوب البناء ومواده بين صرح هامان وفرعون، وردم يأجوج ومأجوج، كما في قوله تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ" (القصص / ٣٨). وأن هذا التطابق والتشابه ظاهر في مواصفات صرح هامان، وبناء السد (الردم) الذي بناه ذو القرنين، من حيث المواد البنائية والتقنية الأساسية، مع إضافة عنصر مادة الحديد في بناء الردم، وأن هذه التقنيات والأساليب الهندسية لم تكن معروفة في تلك العصور إلا في مصر.

٦. إن السفن التي استخدمها ذو القرنين في رحلته وطوافه حول العالم، هي من الطراز المصري في بلاد مغرب الشمس ومطلع الشمس، وأن بلاد مغرب الشمس هي جزر المالديف، وأن العين الحمئة ما هي إلى الزوابع الحلزونية أو البرك الحامية في المحيط، أو فوهات البراكين الثائرة في زمن ذي القرنين.

٧. لقد سافر المؤلف إلى مدينة (جنج جو) ووجد بأن بناءها هائل في الحجم طولاً وعرضاً وارتفاعاً، ووجد أن ارتفاع الردم يبلغ (٩) أمتار من القاعدة، وأن عرض القاعدة كبير جداً وهو حوالي (٣٦) متراً.

٨. رغم الغموض في قصة يأجوج ومأجوج، واختلاف الآراء بشأنها، فإن المؤلف قد قام بزيارة إلى الصين، ووجد أن عبارة (يأجوج ومأجوج) بكاملها عبارة باللغة الصينية، كما هي (المندرائية) في الوقت الحاضر، وفي ذلك دلالاته على أصالة اللغة الصينية، رغم مرور (٣٣٠٠) سنة عليها. كما أن يأجوج ومأجوج هم من الصين، وأن موقع السدين، وموقع الردم هو في شمال ووسط الصين حول مدينة (جنج جو) كما شاهدها عند زيارته للصين^١.

^١ ملخص كتاب فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج للمؤلف حمدي بن حمزة أبو زيد .. ينظر: <http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?t=2686>

أرى بعد دراساتي المتواصلة للمراجع التاريخية، والتفسير الكثيرة بأن مؤلف كتاب "فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج" .. الأستاذ حمدي بن حمزة أبو زيد، وما ذهب إليه هو أقرب إلى الحقيقة، وأكثر اتفاقاً مع آيات القرآن الكريم الواردة في سورة الكهف، والمتعلقة بذي القرنين ويأجوج ومأجوج. إلا أن ابن غنيم المرواني الجهني، قال إن (أخناتون)، وحقيقة هذا القول لم يقل به أحد من علماء الإسلام والمؤرخين، فقد ذكروا عدة أسماء كالاسكندر والحميري وغيرهم. أما أن الملك (أخناتون) فلم يقل به أحد غير المؤلف (حمدي بن حمزة أبو زيد) على حد علمي والله أعلم¹.

وأن ذي القرنين قد نال شرفاً عظيماً، ومنزلةً عاليةً في إتباعه السبب، وطوافه حول العالم بمشرقه ومغربه وحكمه العادل، مما خلده القرآن الكريم، ليبقى اسمه على ألسنة الناس عبر العصور .. وابتدأت قصته في القرآن الكريم عندما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن خبره، وما قام به، وكيف مكنه الله تعالى من أن يطوف العالم؟ فجاءت الآية الكريمة: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٨٣).

إن ذي القرنين من عباد الله المخلصين .. فقد مكنه الله تعالى من الحكم في العالم بما آتاه من كل شيء .. علماً ووسيلةً وفكراً وسبباً، فطالبه الله تعالى بأن يتبع السبب دوماً، حيث قال تعالى: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعْ سَبَبًا" (الكهف / ٨٤-٨٥).

واقترضت إرادة الله تعالى بأن يتوجه ذي القرنين إلى مغرب الشمس ليرى القوم الكافرين، حيث قال تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا" (الكهف / ٨٦).

فما أعظم تكريم الباري تعالى لذي القرنين، وما أشرفها من منزلةٍ عنده عز وجل، حيث أن الله تعالى قد خيرَه في الحكم على القوم الضالين، وهذه حقاً مكانة مقدسة مباركة لدى الله، وهي منحة ربانية ما نالها إلا النبي محمد ﷺ، حيث خيرَه الله

¹ ينظر: ابن غنيم المرواني الجهني <http://www.alhejaz.net/vb/showthread.php?t=44766&page=2>

تعالى بين الحكم بينهم أو الإعراض عنهم، كما في قوله تعالى: "فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ" (المائدة / ٤٢).

وكذلك فإن الله تعالى قد خيرَ ذا القرنين بين إنزال عقوبة القتل والحرب أو السجن للقوم الكافرين، حيث قال تعالى: "إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا" (الكهف / ٨٦). إلا أن ذا القرنين كان هدفه دائماً هو الدعوة إلى الله، وإصلاح الناس، وإنقاذهم من الشرك والكفر، وإلا فإنه سيعذبهم إن أصرّوا على الكفر. وأما الذين آمنوا بربهم فلهم الجزاء الأوفى، وسيتولى أمرهم بيسر وسلام وصلاح، كما قال تعالى: "قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا" (الكهف / ٨٧).

إنهم قوم ضالّون مصرون على كفرهم، فإنهم ينالون العذاب في الدنيا، ثم يردون إلى ربهم يوم القيامة لينالوا عذاباً شديداً لإصرارهم على الكفر.

أما المؤمنون الذين اتبعوا ذا القرنين، وعملوا الصالحات، فإنهم سينالون جزاء الحسنی، كما قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا" (الكهف / ٨٨). وهذا هو حكم الله تعالى في عبادته، مصداقاً لقوله الكريم: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" (الرحمن / ٦٠).

وفي هذا يقول سيد قطب (رحمه الله تعالى) في ظلال القرآن: "هذا هو دستور الحكم الصالح، فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم، والمعتدي الظالم يجب أن يلقي العذاب والإيذاء .. وحين يجد المحسن في الجماعة جزاء إحسانه جزاءً حسناً، ومكاناً كريماً، وعوناً وتيسيراً، ويجد المعتدي جزاء إفساده عقوبةً وإهانةً وجفوةً .. عندئذٍ يجد الناس ما يحفزهم على الصلاح والإنتاج، أما حين يضطرب ميزان الحكم، فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم، مقدمون في الدولة، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون، فعندئذٍ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب، وأداة إفساد، ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد".¹

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: ٢٢٩١.

ثم يواصل ذو القرنين مع جيشه في الطواف حتى وصل إلى مطلع الشمس في أرض مكشوفة في الطبيعة، حيث الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر، وربما يكون هذا المكان على شاطئ إفريقيا الشرقي. وقد وضّح ذلك قول الله تعالى: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا * كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا " (الكهف / ٩٠ - ٩١).

ومما يلاحظ أن القرآن الكريم لم يذكر عن هؤلاء القوم شيئاً، وماذا فعل ذي القرنين معهم؟ وإنما جعل العلماء في أن يفكروا بما عمل ذو القرنين مع هؤلاء القوم، وربما حضّرهم، ووفر لهم أسباب الرقي في لبس الملابس وستر العورة، وهكذا فالباب مفتوح للاجتهد واتباع السبب، كما في فعل ذي القرنين .. " فَاتَّبَعَ سَبَبًا " (الكهف / ٨٥).

وبعد ذلك أصبحت لذي القرنين مهمة كبيرة عندما بلغ في طوافه مكان السدين، أي الجبلين بينهما فجوة يأتي منها قوم يأجوج ومأجوج لإيذاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً، ليكون ذو القرنين لهم عوناً وخلصاً من يأجوج ومأجوج الذين كانوا خلف الجبلين، وكانوا فاسدين يؤذون القوم ويعتدون عليهم، وهنا وجد القوم الذين يتكلمون بالإشارة لأنهم لا يفقهون قولاً .. يا ذا القرنين إنك حاكم عادل، وملك قوي أنقذنا من قوم يأجوج ومأجوج، ونحن على استعداد بأن نجعل لك أجراً وخراجاً ندفعه لك، على أن تبني لنا السد، وتسد الفجوة بين الجبلين، حتى لا ينفذ إليهم أعداؤهم من قوم يأجوج ومأجوج.

وهنا استجاب لهم ذو القرنين، ووفاءً لرسالة ربه في الإصلاح، وإنقاذ العباد من الظلم والجور، وقال لهم هذا ما أريد أن أعمله تبرعاً مني، لأنني في غنى عن الأجر، إذ عندي الكثير من الخير الذي أعطاني إياه الله تعالى، ويجب القيام به لتحقيق رسالتي في إحقاق الحق، وأريد منكم أن تعينوني بالمواد والعمال. وهذا جميل جداً من ذي القرنين، لإقرار مبدأ التعاون والمساعدة في إنجاز هذه المهمة الكبيرة ذات الأثر الطيب على القوم، كي يعيشوا بسلام وأمان، ولذلك قال تعالى: " قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا " (الكهف / ٩٥).

ما أجمل أن تساعد قدرة الله تعالى قوة الطاقة البشرية العاملة المخلصة، حيث قال تعالى: "فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ" (الكهف / ٩٥). لأبني لكم ردمًا كبيراً، ليكون سداً قوياً يقاوم الزلازل والأمطار والرياح القوية، ولأجل البناء القوي الصامد طلب ذو القرنين من رجال القوم بأن يأتوا له زبر الحديد، أي قطع الحديد، والقطر وهو النحاس المذاب ليكون البناء صلباً، وأكثر صلابة فلا يتمكن قوم يأجوج ومأجوج من اختراقه أو التسلق عليه، لكونه أملس وناعماً وفي علو كبير، ثم ساوى بين جانبي الحائط (السد)، حيث قال تعالى: "حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ" (الكهف / ٩٦). ثم نفخ بين الحائطين الحديد بعد أن جعله ناراً، ثم أفرغ عليه النحاس بهندسة رائعة، وبناء عمرانى متين على مرّ الحقب والأزمان، حيث قال تعالى: "أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا" (الكهف / ٩٦).

وهكذا أصبح للقوم سداً منيعاً صلباً، غالباً وأملس لا يمكن النقب به أو الصعود عليه أو اختراقه، كما بين الله تعالى: "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا" (الكهف / ٩٧).

ومع قوة بناء السد ومثانته، فإن ذا القرنين لم ينس فضل الله تعالى في البناء، وقدرته في أن يجعله دكاً متى شاء ذلك، وأن وعد الله حق وواقع لا شك فيه، فلا يغرنكم صلابة هذا السد ومثانته .. إنما هو عمل الإنسان لهذه الحياة الدنيا فحسب، فإذا جاء وعد الله بالآخرة والقيامة جعله دكاً، تذكيراً بأن هذه الدنيا فانية وأن الساعة آتية لا ريب فيها، حيث قال تعالى: "قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا" (الكهف / ٩٨).

وهكذا بين ذو القرنين للقوم بأنه رغم ما أخذنا من مقومات البناء التي وهبنا الله تعالى إياها، واستخدمناه في إنقاذ العباد، فإن الله قادر على أن يجعله دكاً، وهنا أسدل الستار على أعمال ذي القرنين الذي طاف العالم وهو حاكم عادل، ومملك العالم منفذاً رسالة ربه في دعوة الناس إلى عبادة الواحد القهار، بالقوة والعلم والإيمان والصلاح.

وأخيراً فإن التحريات الأخيرة في مكان السد، وقيام ذي القرنين والقوم الذين لا يفقهون هو واقع اليوم بمكان يسمى (بلخ)، والجبلان من جبال القوقاز، وهما موجودان فعلاً، وبينهما فجوة مبني فيها، ويقولون أن صاحب البناء هو (قورش) وأن المكان الآن بين بحر قزوين والبحر الأسود¹.

وجاء في حديث صحيح رواه الإمام أحمد، عن سفيان الثوري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها حبيبة عن زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، قالت: استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه، وهو يقول: "ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا" وحلّق بأصبعيه السبابة والإبهام، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبث" (رواه الإمام أحمد).

وقال سيد قطب في ظلال القرآن: وقد كانت هذه الرؤية منذ أكثر من ثلاثة عشر ونصف قرن، وقد وقعت غارات التتار بعدها، ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولوكو في خلافة المسعتم آخر ملوك العباسيين، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ، وعلم ذلك عند الله، وكل ما نقوله ترجيح لا يقين².

والجدير بالذكر أن استخدام ذي القرنين لمعدن الحديد مع مادة القطر ضمن عملية كيميائية لتكون مركباً، إنما هي من البناء المسلح الذي لم يستخدمه الإنسان إلا منذ قرن أو أكثر بقليل. وقد استخدم ذو القرنين النار لصهر الحديد، واستعمل نوعاً من المنافيخ لنفخ الهواء والحديد المنصهر، والشيء المؤكد أن عملية الصهر تمت في الهواء الطلق المحتوي على الأوكسجين الكافي لإتمام صناعة الحديد الصلب.

وإن هذا الأسلوب الذي يستخدم طريقة في ردم أو دك مادة القطر لملء الفراغات بين الألواح، ثم دكها ورسها طبقة على طبقة بواسطة رصاص ثقيل، وهذه الطريقة تجعل الردم ذو قوة خارقة، ومقاومة شديدة للاختراق والثقب والصدأ وحماية للقوم من جبروت يأجوج ومأجوج إلى حين³.

¹ الشيخ محمد متولي الشعراوي، تفسير سورة الكهف، ص: ٨٩٩٣.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: ٢٢٩٤.

³ حمدي بن حمزة أبو زيد، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج، ينظر:

<http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?t=2686>

وبعد انتهاء قصة ذي القرنين .. الأنموذج الطيب للحاكم الصالح والملك العادل، وبعد سرد القصص ذات الحكمة الربانية، من قصة أصحاب الكهف، وقصة الرجلين لأحدهما جنتان، وقصة النبي موسى عليه السلام كليم الله مع المعلم الناصح والعبد الرباني الصالح الخضر عليه السلام، يذكر الله تعالى كما بدأ في أولى آيات سورة الكهف بالبشرى للمؤمنين المخلصين، والإنذار للمشركين الضالين .. أجل ..

يذكرنا الله تعالى في ختام سورة الكهف زيادة في التذكير بالحديث عن قيام الساعة وأهوال يوم القيامة، حيث يقول الله تعالى: "وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا" (الكهف / ١٠٠-١٠١).

ثم تذكير بعاقبة الأخسرين أعمالاً في دنياهم الزائلة، حيث قال تعالى: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (الكهف / ١٠٣-١٠٤).

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعبدوا الله حق العباد، فإنهم هم الفائزون بجنات الفردوس، كما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف / ١٠٧-١٠٨).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: "إذا سألتكم الله الجنة، فاسألوه الفردوس، فإنها أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة" (رواه الصحيحين).

يا رب .. إنا نسألك الفردوس الأعلى، وأن تعيننا على العمل الصالح في الدنيا كما بشرتنا باللقاء .. "فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف / ١١٠).

الفصل السابع
الحكم والعبر المستوحاة من سورة الكهف

الفصل السابع

الحكم والعبر المستوحاة من سورة الكهف

سورة الكهف .. سورة قرآنية مباركة، ذات قدسية نورانية منورة بنور الله تعالى .. نور في آياتها الحكيمة .. نور في قصصها المعبرة .. نور في بيان علم الغيب الرباني .. نور في منهجها الحياتي الرصين .. نور في نفحات معجزاتها الربانية الصادقة .. نور في أسرارها وتحدياتها الجبارة .. نور في إشراقه كرامات الفتية من الشباب المؤمنين، الذين ضربوا أروع مثال في الإيمان والشجاعة والجرأة أمام شرك مليكهم الجائر .

سورة الكهف .. مباركة بحمد الله تعالى لقرآنه الكريم، حيث قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا" (الكهف / ١-٢).

سورة الكهف .. تلاوتها معطرة من عند الله تعالى، والعمل بها صلاح للأمة، وحفظها انشراح للقلوب المؤمنة، ونور للنفوس الخاشعة، كما بين ذلك رسول الله ﷺ، حيث قال: "من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره" (رواه الطبراني). وقال ﷺ أيضاً: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال" (رواه مسلم).

سورة الكهف .. بركة دائمة في أيام الجمعة، ونفحاتها سارية معطرة من جمعة إلى جمعة، بما فيها من بشرى سارة للمؤمنين الصالحين، ونجاة لعباد الله المخلصين من الكفار الظالمين. كما تجلى ذلك في دعاء سيدنا نوح عليه السلام .. "قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي" (المؤمنون / ٢٦). فجاء النداء الرباني بقول الحمد لله الذي نجاهم من القوم الظالمين .. "فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (المؤمنون / ٢٨).

سورة الكهف .. بآياتها الكريمات، وقصصها المعبرات، وبشاراتها الموعودة، وإنذاراتها بالعقاب الشديد، تعد مدرسة ربانية راقية، مفعمة بأداب تلمذة قرآنية عبادية، ولقاء رباني في الحشر المبين، بالعمل الصالح المطلوب .. "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف / ١١٠).

وكلنا تضرع إلى رب العالمين بأن يجعلنا من تلامذة المدرسة القرآنية، ويمنحنا شهادة العلم الرباني النافع لنا في الدنيا والآخرة، وأن يجعل دعاءنا في الزيادة بالعلم مقبولاً .. "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه / ١١٤). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

من استلهامات آيات سورة الكهف، ومن نفحات قصصها المعبرة بالنور والنصح الأمين، ومن بركات دعاءاتنا المقدسة ليل نهار في الصلاة والسجود والذكر الحميد، نقدم خلاصة الحكم والعبر المستوحاة من سورة الكهف المنورة بنور الله تعالى .. لعل الباري عز وجل يلهمنا استماع القول واتباع أحسنه، كما وعدنا الله تعالى: "الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوتُوا الْأَلْبَابِ" (الزمر / ١٨).

الحكمة الأولى: الحمد لله على القرآن العظيم ..

قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيَمًا" (الكهف / ١-٢).

لحكمة ربانية، وصلاح دنيوي بأن جعل الله تعالى أولى آيات سورة الكهف .. "الْحَمْدُ لِلَّهِ" .. فالحمد لله الذي أنزل قرآنه المجيد على عبده محمد ﷺ، ليكون دستوراً شاملاً، وآيات قيّمة، وبشرى لكل المؤمنين الصادقين الذين يؤمنون بربهم، ويعملون صالح الأعمال، ولا يشركون به أبداً، وأولئك هم المفلحون في الدنيا والآخرة .. وإنذاراً وبأساً شديداً للمشركين الضالين لشركهم بالله فهم في عذاب جهنم خالدون.

الحمد لله .. افتتاح مبارك في سورة الفاتحة لصلواتنا في كل ركعة .. "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" (الفاتحة / ٢-٤).

الحمد لله .. لفظ رباني مقدس بذكره تطمئن القلوب، وتنتشر الصدور، وترشد العقول، وتهذب النفوس .. فليكن دوماً على ألسنتنا، وفي شغاف قلوبنا (الحمد لله في السراء والضراء).

الحمد لله .. افتتاح مبارك لكل قول حكيم، وخطبة جلييلة، وكلام بليغ، ونصح أمين .. فالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الصادق الأمين .. المبعوث رحمةً للعالمين.

الحمد لله الذي علمنا ما لم نعلم، كما أمرَ النبيان داود وسليمان (عليهما السلام)، بالحمد لله تعالى على ما وهب لهما من العلم والفضل والسلطان، حيث قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ" (النمل / ١٥).

الحمد لله حمداً كثيراً على فضل الله تعالى لعباده، وخلقه الكون والسموات، وفي أنفسنا آيات رب العالمين .. "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات / ٢١). وكيف لا يحمد الله .. وهو رب العالمين، وصاحب الفضل على الأنبياء والمرسلين في هداية الناس أجمعين وفي خاتمتهم محمد ﷺ رسول رب العالمين، كما قال تعالى: "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (النمل / ٩٣).

ومن هنا أصبح لفظ الحمد لله في كلام المؤمنين، ترديد مبارك لكل ما منحنا الله تعالى من إسلام وإيمان وعقيدة وصلاح وعلم وخير وفضل وإحسان .. فنقول ملء القلب وصدق اللسان (الحمد لله) .. كما قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ" (سبأ / ١).

وملايين المصلين كل يوم وفي كل صلاة يقولون .. "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" (الفاتحة / ١-٧).

يا رب بحق سورة الفاتحة .. نسألك أن تجعلنا من الحامدين الشاكرين والذاكرين لك في كل وقت وحين إلى يوم الدين .. آمين يا رب العالمين.

الحكمة الثانية: فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى ..

قال تعالى: "تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى" (الكهف / ١٣).

قصة أصحاب الكهف .. قصة قرآنية مباركة لفتية آمنوا بربهم بإيمان قويم، وإصرار عظيم، واعتزلوا مليكهم المشرك الجائر، فربط الله تعالى على قلوبهم، وأعانهم على الصبر، وأنزل عليهم الرحمة بإيوائهم في الكهف سنين عدداً، وهم راقدون بين الحياة والموت، ثم باركهم الله وهم يقظون بعد ٣٠٩ سنة قمرية ليكونوا حكمة وعبرة لكل الصابرين في دعوتهم إلى الله عز وجل .. حيث قال تعالى: "وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا" (الكهف / ١٤).

الشباب المؤمن .. القوي الأمين، والشجاع الجريء، والمطيع الصابر على قضاء ربهم، وهم بحق رجال الدعوة، وهم جند الرحمن في كل عصر ومصر، لأنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما قال تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب / ٢٣).

وهكذا شباب مؤمنون أحبوا الله فأحبهم الله تعالى، فنالوا أفضل الجهاد، وأجل التكريم في الدنيا والآخرة، كما بشرنا المصطفى ﷺ بقوله: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر" (رواه أبو داود).

فأحياهم الله تعالى بعد رقودهم قرون عديدة، ليعرفوا كرامة نفوسهم، ومنزلتهم عند ربهم، ولدى قوم مؤمنين الذين ألهمهم الله تعالى بالإيمان، وإدراكهم بأن هؤلاء الفتية هم الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وجعل لهم من أمرهم مرفقاً، وحكمة وعظة لكل الشباب في كل زمان ومكان، وذلك باتخاذهم عليهم مسجداً مشهوداً إلى قيام الساعة .. حيث قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا" (الكهف / ٢١).

هكذا اقتضت إرادة الله تعالى بالنهاية السعيدة في الدنيا وفي البرزخ، وعند قيام الساعة وهم من رحمة ربهم بهم مفلحون.

يا رب هب لنا ولشبابنا المؤمنين هذه الرحمة المباركة والنهاية السعيدة في الدنيا والآخرة، في رحاب دعوة الإسلام وفي صحوته المباركة .. آمين يا رب العالمين.

الحكمة الثالثة: صاحب الجنتين بغروره وكفره أضاع كل خير ميسور ..

قال تعالى: "وَاصْرِبْ لَهُم مِّثْلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا" (الكهف / ٣٢).

اقتضت حكمة الله تعالى في قصة الرجلين، أحدهما فقير قانع بما قدر الله له من رزق حلال طيب، وبين غني مغرور بغناه بما وهب الله تعالى له جنتين اللتان آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً، وفجر الله خلالها نهراً جارياً عذباً وموفوراً، ودخل جنته وهو كافر بنعمة ربه، ويأخذه الغرور بأن جنته باقية لن تبديد أبداً، ويقول لصاحبه الفقير وهو يحاوره .. أنا صاحب الجنتين .. أنا الغني أكثر منك يا صاحبي مالاً وأعز نفراً، ولا يقول ما شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله. وهنا يحاوره صاحبه الفقير .. يا صاحبي عدْ إلى الله تعالى ولا تكفر بالله الذي خلقك وسوأك رجلاً صاحب جنتين .. حيث قال تعالى: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا" (الكهف / ٣٧).

فكان الأولى لك يا صاحبي بالحمد والشكر لله على ما وهب الله لك من جنتين، وتدخل فيهما وتقول ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، كما قال تعالى: "وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا" (الكهف / ٣٩-٤٠).

وهنا كانت الندامة والحسرة، بعد أن وجد جنته خاوية على عروشها لغروره وكفره وعدم الحمد والشكر لربه الوهاب، حيث قال تعالى: "وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا" (الكهف / ٤٢).

وهكذا ضاعت الجنتان، وفسدت ثمارهما، وبيست زروعهما، وجفت أنهارهما، فتأسف الرجل المغرور على ما أنفق فيهما من مال كثير وجهد كبير، فأخذ يقلب كفيه حسرةً وندماً على ضياع الآمال العريضة جزاءً على إثمه وغروره وشركه بالله تعالى، وعجزه أمام إرادة الله عز وجل إذ يقول في كتابه العزيز: "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء / ٨٨-٨٩).

وهكذا فإن ما شاء الله تعالى تزيد النعم، وتبارك الفضل، فيستمر الخير، ويعم الرخاء. وأن نكران أفضال الله تعالى ونعمه الوفيرة زوال للبركة، وحسرة على الزوال وندامة على الخسران .. "وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (التكوير / ٢٩).

فلنقل على كل نعمة من الله تعالى: ما شاء الله تعالى على النعم .. والحمد والشكر على دوام الأفضال، والخير الوفير .. اللهم زد وبارك قولك الحق: "لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ" (إبراهيم / ٧) .. يا رب اجعلنا من الشاكرين.

الحكمة الرابعة: موسى النبي ﷺ مع معلمه العبد الصالح الخضر ﷺ ..

موسى النبي كليم الله ﷺ اصطفاه الباري عز وجل من عباده ليكون نبياً مخلصاً، ورسولاً أميناً، وعبداً عالمياً، وداعياً إلى الله برسالة ربه إلى الصراط المستقيم، حيث قال تعالى: "وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً" (مريم / ٥١-٥٣).

وكان موسى ﷺ شاكراً لربه تعالى على معجزاته له وعلمه الكثير، وطموحه في الحصول على علم الله الغيبي، ودعائه كما أراد الله له: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً" (طه / ١١٤). لأنه يعتقد أنه أعلم الناس، ولكن الله تعالى أراد أن يعلمه بأن فوق كل ذي علم عليم .. "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" (يوسف / ٧٦). فأوحى إليه بأن العبد الصالح الخضر ﷺ عنده العلم الذي يروم الوصول إليه، فأمره أن يذهب إليه، وسأل موسى: أين هو الخضر ﷺ؟ ثم سأل موسى ربه بأن يريه إياه، فأوحى له أن ائت البحر، فإنك تجد في شط البحر حوتاً فخذ فادفعه إلى فتاك (يوشع بن

نون)، ثم الزم شاطئ البحر، فإذا نسيت الحوت وهرب منك، فإنك ستجد العبد الصالح الذي تطلب.

وهنا انشرح صدر موسى عليه السلام، وأخذ رحيله مع فتاه للقاء الخضر عليه السلام، حيث قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا" (الكهف / ٦٠ - ٦١).

وبعد جهد وتعب، وسفرة طويلة التقى موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام معلمه الموعود من الله تعالى، وقال له موسى عليه السلام: جئتك على أن تعلمني مما علمك الله علماً ورشداً، حيث قال تعالى: "قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَٰ رُشْدًا" (الكهف / ٦٦). وكان جواب الخضر عليه السلام بوحى من الله .. إنك يا موسى لن تستطيع معي صبراً في متابعتك معي، كما قال الله تعالى: "قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا" (الكهف / ٦٧-٦٨). إلا أن موسى عليه السلام طمأن معلمه الخضر عليه السلام بأنه سيكون صابراً ولا يعصي له أمراً إن شاء الله تعالى .. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فكلما أهلها لأن يحملوهما معهم، وكانوا يعرفون العبد الصالح فحملوهما بغير أجر، فعمد الخضر عليه السلام إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فتخربت السفينة، وهنا ما تحمل موسى عليه السلام عمل أستاذه فقال كيف تعمل هذا؟ وتغرق أهل السفينة؟ فقال الخضر عليه السلام يا موسى ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً، فاعتذر موسى بأدب وخجل .. واستمر في الصحبة. فإذا بالخضر عليه السلام يقتل غلاماً .. وهنا قال له موسى عليه السلام: أنتقت نفساً وكيّةً بغير نفسٍ؟ فأجابه الخضر: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً .. فاعتذر موسى عما بدر منه، ثم واصل المسير إلى أن وصلا إلى قرية أبي أهلها أن يضيفوهما، ثم وجدا جداراً يكاد أن ينقض، فقام الخضر عليه السلام بإصلاحه وإقامته، فقال له موسى عليه السلام: لو شئت لاتخذت عليه أجراً، فقال له الخضر عليه السلام: هذا فراق بيني وبينك .. إلا أنه فسر له لماذا قام بكل هذه الأعمال التي استغرب منها سيدنا موسى عليه السلام .. إنه علم رباني غيبي يهبه لمن يشاء من عباده وفوق كل ذي علم عليم.

الله تعالى هو صاحب علم الغيب، وهو خالق السماوات والأرض والبحار والمحيطات والجبال، وله الأسماء الحسنی في الدنيا والآخرة، وعلمه لا بداية ولا نهاية له، كما قال تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (الكهف / ١٠٩).

الحكمة الخامسة: آداب التلمذة القرآنية في صحبة موسى عليه السلام للمعلم الخضر

عليه السلام ..

قال تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الإسراء / ٣٦).

استلهاماً من اللقاء الروحي، والصحبة العلمية بين موسى عليه السلام والعبد الرباني الخضر عليه السلام، واستخلاصاً من المحاوراة العلمية التي جرت بينهما، واستشرافاً من القصة القرآنية بعلم غيب الباري تعالى .. نلخص بعض آداب التلمذة القرآنية ..
حكمة ربانية مباركة في التأكيد على منهج الحوار العلمي عند تلقي العلم من المعلم الناصح مستخدماً كل جوارحه من سمع وبصر وفؤاد، لأن كل أولئك كان عنه مسؤولاً، كما قال تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الإسراء / ٣٦).

طالب العلم .. تلميذ مطيع يتبع أستاذه في الوصول إلى الحقيقة والعلم النافع، ومستمر على تحمل المشاق في سبيل أخذه العلم والبحث عنه، وملازمة أستاذه بإجلال واحترام ومجالسته بوعي وإصغاء ورشد. وإن طالب العلم مؤمن، وصاحب دين وتقوى، ويسعى جاهداً في طلب العلم النافع والمزيد منه، كما قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ" (البقرة / ٢٨٢).

وعلى طالب العلم الالتزام بتنفيذ ما يطلبه منه معلمه، وأن يحافظ على صحبته، وتقديم الخدمات له، والصبر عليه في رحاب العلم، ليكون أميناً فيما يتعلم، ومنتشوقاً إلى تلقي المزيد منه، ومسروراً في نشره، والعمل على تطبيقه في سلوكه، وأن يخشى الله تعالى بما ينكشف له من علم ومعرفة ويصبح في عداد

العلماء المؤمنين بالله تعالى، والحامدين بما وهبهم الباري عز وجل من علم وبصيرة .. قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" (فاطر / ٢٨).

وللمحافظة على آداب التلمذة القرآنية فإنه يجب على المعلم في سلوكه وتعليمه لتلاميذه أن يظهر بمظهر عبد من عباد الله، وهبه الله العلم، وأن يسعى لإيصاله إلى تلاميذه بوفاء وإخلاص، وأن يوصلهم إلى أعلى مراتب العلم والمعرفة، والتباهي بهم في تقدمهم وسعتهم العلمية، وأن يعودهم على التعلم الذاتي، مع حسن استخدام حواس السمع والبصر والفؤاد في الكشف والبحث والتحليل والاجتهاد والتفسير، والوصول إلى ما هو جديد ومبتكر وبديع، وأن يتقرب إلى الله تعالى بالتقوى والإيمان، عسى أن يحظى ببعض نفحات الغيب الرباني .. قال تعالى: "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا" (الجن / ٢٦-٢٧).

يا رب .. إنا نسألك نفحات رحمتك، وقبساً من علمك الواسع، وهدايتك الدائمة، وإرشادك لنا بالعلم النافع الذي يقودنا إلى سبيل صراطك المستقيم.

الحكمة السادسة: قوة وإيمان وعلم وحكمة ذي القرنين في الصلاح وال عمران ..

قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٨٣).

ذو القرنين .. عبد من عباد الله الصالحين، وهبه الباري تعالى الإيمان والقوة والعلم والحكمة، ليحكم العالم من مشرقه إلى مغربه بعدالة واقتدار كبير، ومكنه الله تعالى من الطواف النادر في الدنيا ناشراً عدل السماء والحكم الرباني، والعلم الدنيوي، والقوة في الفتح والبناء وال عمران، وإنقاذ العباد من الظالمين المفسدين من قوم يأجوج ومأجوج.

إن ذا القرنين ملك مؤمن بالله الواحد القهار .. فهو بحق كان حاكماً عادلاً، له منهج رباني صالح وأصيل في التعامل مع الناس، وفي تسيير أمورهم، وإنجاز مهماتهم، ونشر العدل والهدوء والاستقرار في بلادهم، ورفع الظلم عنهم، وذلك بإتباعه السبب .. "فَاتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٨٥). ففيه الخير والصلاح والحكمة والفلاح.

فقد شرفه الله تعالى بذكره في القرآن الكريم، وفي سورة الكهف ليكون درساً لكل حاكم عادل، وملك حازم، وسلطان قوي يروم الخير لقومه، ويسعى لإنقاذهم من الجور والفساد والشرك، حيث قال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" (الكهف / ٨٣).

فيسر الله له طواف الدنيا، والعمل الصالح، وإتباع السبب، ووهبه جزاء الحسنى، حيث قال تعالى: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٨٤-٨٥).

وكان لإيمانه وقيادته العادلة جزاؤه الحسنى، والطواف العظيم، والتمكين له في الحكم في أرض الله الواسعة، حيث قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا" (الكهف / ٨٨-٨٩).

وبتيسير من الله تعالى، وإتباعه السبب، وصل إلى مغرب الشمس فوجد عندها قوماً كافرين، ومنحه الله عز وجل تقديراً عظيماً، حيث قال تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا" (الكهف / ٨٦).

وهنا يظهر العدل من الحاكم الذي يريد الخير لقومه، حيث قام ذو القرنين بإصلاح أمر الناس الذين آمنوا بربهم، فأصبح لهم الجزاء الأوفى. أما الذين أصروا على الكفر فعذبهم عذاباً شديداً، كما قال تعالى: "قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا" (الكهف / ٨٧).

ثم واصل مع جيشه في الطواف إلى أن وصل مطلع الشمس، وقام بواجبه في توفير أسباب التحضر لهم، لأنهم في العراء من دون ستر .. قال تعالى: "كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا" (الكهف / ٩١).

ثم ختم عمله كما ورد في القرآن الكريم بإنقاذ القوم من جور وفساد يأجوج ومأجوج، وقام ببناء السد العظيم بين الجبلين منعاً من نفوذ أعدائهم إليهم من قوم يأجوج ومأجوج، كما قال تعالى: "قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا" (الكهف / ٩٥). فضرب ذو القرنين أروع الأمثلة على الحكم

الصالح، والجزاء الحسن للحاكم المؤمن العادل الذي يحكم بما أنزل الله تعالى ..
"وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" (المائدة / ٤٤).

الحكمة الختامية: بشرى للمؤمنين الصالحين .. وإنذار وبأس شديد للكفار
الكاذبين ..

قال تعالى: "قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا" (الكهف / ٢).

إن ختام الحكمة والعبر في سور الكهف وآياتها الحكيمات، هي قدرة الباري تعالى
وعظمته في خلق السماوات والأرض، وخلق آدم ﷺ، وتدعيماً لعلمه بأسماء الله
الحسنى التي طلب الله من ملائكته السجود الاحترامي لآدم ﷺ، فسجدوا له
طائعين، مع إقرارهم بعلم آدم .. "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" (البقرة / ٣٢).

إلا أن إبليس الشيطان الرجيم كان من الجن ففسق وتمرد على أمر ربه لينال لعنة
الله تعالى والناس أجمعين إلى قيام الساعة، وأصبح عدواً، صاحب سلطان وقوة
على المفسدين والظالمين، إلا عباد الله المخلصين فلا سلطان له عليهم ما داموا
مؤمنين بالله العزيز ومتوكلين عليه في جميع أمورهم، ومخلصين له في العمل
الصالح، والعهد الموثوق، والعبادة الحقة. أما من ظلم الناس، وأطاع الشيطان،
واتبع سبيله المفضي إلى نار جهنم، فإن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة دون أن
يفقهوا بها، وفي آذانهم وقراً فلا يسمعون دعوة الهداية، فكان الله تعالى لهم
بالمرصاد وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فهم من الأخسرين أعمالاً،
كما قال تعالى: "أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا
جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا" (الكهف / ١٠٢).

فهؤلاء هم الخاسرون في يوم الحشر العظيم، كما قال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا" (الكهف / ١٠٥).
أما المؤمنون المخلصون الذين يعملون الصالحات، ويعبدون الله حق العبادة، فلهم
الجزاء الأوفى في الفردوس الأعلى خالدين فيها لا يريدون الخروج منها، كما قال

تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا" (الكهف / ١٠٧-١٠٨).

وما أروع أن نختم بحكمة ربانية عظيمة جاءت بلسان نبينا الصادق الأمين محمد ﷺ، الذي يدعو إلى لقاء ربنا بالعمل الصالح والعبادة المخلصة، حيث قال تعالى على لسان الرسول ﷺ: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف / ١١٠).

يا رب بحق هذه الآية الكريمة .. أكتب لنا دوماً العمل الصالح والعبادة الخالصة لك، ولا تحرمنا يا الله من نعمة النظر إلى وجهك الكريم يوم القيامة، إنك أنت الغفور الودود .. الرحمن الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيب الحق وشفيع الخلق .. نبينا المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ.

المصادر والمراجع

أولاً / القرآن الكريم.

ثانياً / تفاسير القرآن الكريم:

١. أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٤.
٢. أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ط٩، دار الكتاب العربي.
٣. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤. محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، طبع على نفقة بنك دبي الإسلامي، الطبعة الرابعة، الأفق للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط٩، القاهرة، ١٩٨٠م.
٦. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون تاريخ.
٧. محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ط٤، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤.
٨. محمد حسن الحمصي، قرآن كريم: تفسير وبيان أسباب النزول، دار الرشيد، بيروت، بدون تاريخ.
٩. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤.
١٠. محمد متولي الشعراوي، تفسير سورة الكهف، (www.elsharawy.com).
١١. محمد حسن الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧.

١٢. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر العربي، بيروت.

١٣. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.

ثالثاً / الكتب:

١٤. عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، (www.bin-jebreen.com).

١٥. الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ط٤، دار المعرفة، بيروت.

١٦. حمدي بن حمزة أبو زيد، فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: أصلهم

- زمانهم - أوطانهم، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦. (لمراجعة مختصر

عن الكتاب ينظر: _____

<http://www.islamichistory.net/forum/showthread.php?t=2686>

١٧. محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح ..

دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتأريخ، دار القلم -

دمشق، الدار الشامية - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨. محمد إبراهيم هلال، يأجوج ومأجوج: الخزر - إسرائيل، مؤسسة الرسالة،

دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

١٩. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

٢٠. أبو الكلام آزاد، ويسألونك عن ذي القرنين، مطبوعات الشعب، القاهرة،

١٩٧٢م.

٢١. شفيق ماحي محمد، يأجوج ومأجوج: فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، دار

ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٢. سلمان عابد النووي، تأملات في شخصية ذي القرنين للأستاذ امتياز عرشي،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

سورة الكهف كاملةً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَلِمِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرَابِينَ أَحْسَنُ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَعَنْ أَظْلَمِ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَرَّتْهُمُ الْمَوْتُ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَتْ مِنْهُمْ رُغْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَاكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ

سَنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا تُبَدِّلْ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ يَشُوهُ الْوُجُوهُ بِسُّمِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا وَلَمْ يَنْظِلْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُدُّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلِبُ كُنُفَهُ عَلَىٰ مَا اتَّقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاطِئَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَبِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بُسًّا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذِ
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢)
وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدًّا (٥٤) وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُرُوقًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا
وَنَسِيَ مَا قَدَمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا
أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ
مَوْثِقًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاءَهُ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَتِلْعَ
مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)
فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَاءَهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي
نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ
عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ
مُوسَى هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا
تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ
بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا
يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ فِاقَمَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأْتَبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ
يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ

يُبدِلُهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْرِخَ رَبُّهُمَا كَظَمَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْآنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّمَا أَنْتُ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتُ تُخَذَفُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَئُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسرًا (٨٨) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) أَتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جُمُعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جِزَاءُُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَقِّيقَةُ